د. خالد محمد غازي

# فاطمة رشدي

## حياة و رجال و أسرار

الكتاب : فاطمة رشدي

الكاتب : د.خالد محمد غازي

الطبعة : ٢٠١٧

الناشر: وكالة الصحافة العربية ( ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ ـ ٣٥٨٦٧٥٧٦ ـ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

APA

**http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com**



**دار الكتب المصرية**
**فهرسة إثناء النشر**

محمد غازي ، د.خالد
فاطمة رشدي / د. خالد محمد غازي
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية
١٨١ ص ، ١٨ سم
تدمك: ٣– ١٣١ – ٤٤٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨
أ. العنوان رقم الإيداع : ١٠١١٢ / ٢٠٠٨

# فاطمة رشدي

## حياة ورجال وأسرار

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

## ليس إلا :

في ٢٣ من شهر يناير عام ١٩٩٦ ماتت فاطمة رشدي، على نحو لم يكن مفاجئًا في لحظة الذبول وانطفاء البريق عن جمالها وحياتها، لكنها مازالت حتى اليوم من أعظم ممثلات المسرح العربي والسينما، إثارة للتعجب والتساؤلات والأحادبث الكاذبة.

تناولت حياتها الصحافة بشكل كبير، وألقت بظلال عريضة على حياتها وفنها، إلا أن تلك الكتابات لم تقترب منها بشكل أعمق وتفصيلي كإنسانة وفنانة وصلت ذروة البريق والنجومية عبر سنوات ليست بالقليلة، ثم أخذت الأضواء تغرب رويدًا.. رويدًا عنها، ومن حولها.

إذا رأيتها في أواخر أيامها.. لتعجبت!!

أحقًا هي تلك المرأة التي وقفت أمام يوسف وهبي وغنت لبيرم التونسي ولحَّن لها سيد درويش وأخرج لها عزيز عيد، وكمال سليم، وانبهر بها أمير الشعراء أحمد شوقي؟!

أحقا هي تلك المرأة التي تفانى في حبها عشاق من مختلف الشرائح الاحتماعية: مراهقون، ممثلون، كُتَّاب، شعراء، سياسيون.

ثمة تاريخ مثير:

رجالها.. أكانوا عشاقًا أم أزواجًا؟ غامضون وملتبسون.

كانت جميلة.. وبلا عيب.. شعر أسود.. حاجبان مرفوعان.. أسنان ناصعة البياض متراصة.. عينان سوداوان، مستنيرتا اللون..

إنها حلم للرجال بصوتها المرتجف كطفلة، فمها المنقبض في مهب تلك القبلة.. أيضًا الميزان لتلك الأرداف.. ها جسدها يضئ كالنجم. لا شئ مؤكدًا.. لا شئ حقيقيًا.

هذا هو الانطباع الذي تسرب إليَّ في رحلة البحث والتنقيب في حياة سارة برنار الشرق – كما أطلق عليها النقاد – فحياتها قد تفوق حدود الخيال.. وقد تأكد لنا هذا من خلال القراءة المتأنية لما كُتب عنها.. أو جاء في أحاديثها الصحفية أو مذكراتها الخاصة أو ما قصَّه علينا بعض من عاصروها في أوج مجدها وأفول لمعانها.. وجدنا أن البحث عن اليقين الكامل أمر بالغ الصعوبة، بسبب تضارب الآراء

وتباينها حول كثير من الأمور في حياتها.. وربما اختلف رأي "فاطمة" نفسها من فترة إلى أخرى حول موضوع واحد (!!) .

لكن المؤكد أنها تأثرت صعودًا وهبوطًا بوجود رجل ما في حياتها، وقد كان من حسن حظها، وربما من حظ الفن العربي أن ذخرت حياتها لعدد من الرجال قل ما يمكن اجتماعهم في حياة امرأة واحدة.. كل رجل عرفته ربطه بها سحر من العشق وإن اختلف شكله وقوته ما بين عاشق لها أو عاشق للفن الذي تقدمه.. وربما اختلط الأمر على البعض منهم فلم يستطع أن يميز بين عشق الفن وعشق الفنانة ذاتها.

والحقيقة الأكثر ثباتًا أنها عرفت جيدًا كيف تستفيد من وجود أيٍّ من هؤلاء الرجال ونجحت في الحصول على ما أرادت معتمدة على فتنة جمالها الشاب الأخاذ.. وفي أحيان أخرى على نجوميتها في دنيا الفن.. هؤلاء الرجال هم أبرز العلامات في حياتها التي لم تخضع لأي نوع من الثبات والاستقرار.. وربما وجد كل واحد من هؤلاء الرجال فيها النموذج الذي يبحث عنه، فإن كان فنانًا رأى فيها البطلة التي تستطيع التعبير عما يدور في نفسه، وإن كان من غير أهل الفن وجد فيها المرأة المتدفقة الأنوثة، وانخرط معها في عالمها الخاص

والغريب، فأدى كل واحد منهم الدور الذي رسمته الأقدار على مسرح حياتها، ولكن لأن الانسان ربما يضيع البدايات، ولكنه لا يستطيع أن يتكهن بالخواتيم، فلم يكن مشهد النهاية لحياتها من النهايات التي يمكن توقعها، فكان انسحاب هؤلاء الرجال الواحد تلو الآخر من حياتها كثير الشبه بانسحاب الممثلين من فوق خشبة المسرح بعد انتهاء أدوارهم التي وضعت الأقدار بدايتها، ونهايتها، لتتحول حياة الممثلة الأولى بعد انسحابهم أو رحيلهم إلى ما يشبه المسرح الخرب الذي هجره الجمهور، وخاصمته الأضواء.

وما أقسى المقارنة بين مسرح يضج بالحياة والضخب.. ومسرح خاو إلا من ذكرى الأيام الخوالي.. هذا هو الحال الذي انتهت إليه في أواخر أيامها.. وكما اختلف نوع العشق بين الرجال لـ"فاطمة" اختلف شكل الدور ومساحته الذي مثله كل منهم على مسرح حياتها، وإن اتفقت الأدوار جميعًا في أنها بالغة التأثير في سيناريو حياتها، حتى انتهي بها المطاف أن تجد نفسها وحيدة، لتعرف معاناة لم يكن من الممكن أن تطرأ على خيالها وهي تعيش في ظل هؤلاء الرجال.

وما أشبة حياة فاطمة رشدي بحياة مغنية الأوبرا الشهيرة "ماريا كالاس" – عشيقة أوناسيس المليونير اليوناني الشهير – التي انتهت معدمة محطمة في فندق فقير في باريس.

**لماذا انصرفت الأضواء من حول فاطمة رشدي؟ ولماذا أفل نجمها؟**

**ولماذا انصرف عنها أقرب الأقرباء، وتنكَّر لها أعز الأصدقاء؟**

**وأين ذهبات أموالها؟**

**أسئلة كثيرة حاولنا أن نبحث عن إجابة لها، فقدمنا لحياة "فاطمة" من خلال الرجال الذي صنعوا لها تاريخًا ما كانت لتبلغ مثله بدونهم.. وقد حاولت استخلاص الحقائق.. وإن اضطررت إلى سرد بعض الأشياء التي ليس فيها يقين مؤكد تاركًا الأمر للقارئ، محاولًا أن أفتح ثقبًا في حائط اللا منطق الذي اتسمت به حياتها.**

**خالد محمد**



# والدي خليل..
# علّمني معنى الوطنية والإخلاص

"خليل أغا قدري" والدي ذو الأصل التركي، الذي شاءت الأقدار ألَّا أنعم بالحياة في كنفه سوى سنوات قليلة. ربما لم أدرك خلالها أن هذا الرجل سوف يترك في نفسي كل هذا الأثر الذي جعلني أحلم بأن أكون امتدادًا له في كفاحه الطويل ضد الاستبداد..

هكذا بدأت فاطمة رشدي حديث الذكريات عن والدها، الذي ظل دائمًا متواجدًا في حياتها، مثل خلفية المسرح وديكوراته الثابتة.

تقول فاطمة رشدي: ورثت عن والدي أشياء كثيرة منها الرغبة في الاعتماد على النفس، وأن تكون عصاميتي هي المبدأ الأول في حياتي.. تعلمت منه معنى تحمل المسئولية الفردية، وواجبي نحو وطني ومجتمعي.. كان والدي جنديًا في الجيش التركي، وحين انتصرت تركيا على اليونان في إحدى الحروب رقي إلى رتبة ملازم ثان، تقديرًا لشجاعته، وحسن بلائه.. وقد شهد والدي عن قرب القائد التركي أدهم باشا وهو يدخل قصر ملك اليونان ممتطيًا جواده.. وكان هذا النصر التركي سببًا في تضامن كل دول أوروبا ضد تركيا التي أصبحت من وجهة نظرهم خطرًا.. وتآمروا عليها للجلاء عن اليونان.. بعدها وجد والدي نفسه مهددًا بإلقائه حيًا أو مقطوع الرأس في "البسفور"، خاصة بعد أن اكتشف جواسيس السلطان عبد الحميد أمره كأحد

أعضاء حزب "تركيا الفتاة" والذي كان يسعى إلى عزل السلطان عبد الحميد وإقامة حكم ديموقراطى وإعادة بناء الإمبراطورية التركية على أسس متينة تعيد لها مجدها الغابر.. ولكن والدي استطاع الهرب من "سالونيك" مقر حزب"تركيا الفتاة" قادمًا إلى الإسكندرية واستقر بها واستطاع أن يقيم هو وأحد التجار المصريين مصنعًا للحلويات التركية التي لم تكن معروفة في مصر كثيرًا في ذاك الوقت.

وفرح والدي كثيرًا لنجاح حزب "تركيا الفتاة" وزعيميه أتور ونيازي، وقد أرسل هذان الزعيمان عدة رسائل لوالدي يعترفان له بالفضل في نجاح الحزب ويطلبان منه العودة إلى تركيا.. كما تلقى عدة خطابات بعث بها "مصطفي كمال أتاتورك" وكان قد عاش فترة في حياته في مصر وهو في طريقه إلى طرابلس بقيادة جيش الكفاح ضد إيطاليا.. لكن السن كانت قد تقدمت بوالدي، وخارت قواه وبدأ المصنع الذي أنشأه في التقلص شيئًا فشيئًا بعد أن أصبحت مصر سوقًا رائجة للسلع الأوروبية التي أقبل عليها أولاد الذوات في تلك الفترة.. ومات والدي وترك ميراثًا صعبًا تجسَّد في أربع بنات، وكنت أنا أصغرهن سنا.. وقد استولى شريك أبي في المصنع على كل شئ بسبب جهل أمي بالقراءة والكتابة.. وأصبحنا لا نملك شيئًا يكفي لتدبير

حياتنا ولم يكن أمامنا سوى البحث عن مصدر للقوت، فكان عملي بالفن مع أختي "أنصاف" التي تكبرني، وذلك من باب السعي للرزق.

لم تشأ الأقدار أن تهنأ الفتاة فاطمة بما يتمتع به الأطفال في مثل عمرها من تدليل ورفاهية بعد أن فقدت والدها الذي كان يحمل لها كل الحب، خاصة وأنها صغرى بناته.. ومن ثم ترسبت في أعماقها من حياة والدها وسيرته أشياء كانت بمثابة الخيوط العريضة التي تحدد منهاج حياتها.. إنها تلك الأشياء التي تتخللنا دون أدنى وعي أو مقاومة قد تنتشر في خلايانا التي تبتسم لها شفاهنا، وتنطلق من أجلها الأقدام.. إنها هذه الأشياء التي تعتبر بداية تاريخنا.. ومن منا لا يذكر أيامه الأولى.

اسمها بالكامل: فاطمة رشدي محمد.. ولدت بالإسكندرية.. وتعد واحدة من أربع بنات هن عزيزة وفاطمة ورايية وأنصاف.. توفي والدهن وهن صغيرات.. كانت شقيقتها الكبرى "عزيزة" تتمتع بصوت جميل، فانضمت إلى فرقة أمين عطا الله التي تعمل في الإسكندرية وكان ذلك عام ١٩٢٠، ولم يكن ذلك إلا لأن الحالة المادية للأسرة كانت سيئة.. وعن هذه الفترة تقول فاطمة: "كنت طفلة صغيرة لم أتجاوز عامي العاشر.. أمشي بين أمي وأختي التي تكبرني في شوارع

الإسكندرية كل مساء، ممسكة بيد كل منهما وأنا بينهما أسير مرحة نشيطة إلى مسرح أمين عطا الله الذي كانت تعمل فيه أختي، فاستمع إليها وأنا جالسة في الصالة، فأردد معها أغنيتها بصوت لا يسمعه غيري، فإذا صعدت بعدها السيدة فتحية أحمد – التي اشتهرت بلقب مطربة القطرين – وكانت من الأصوات الكبيرة في عالم الغناء، حتى قيل إنه لولا ظهور أم كلثوم، لكانت فتحية أحمد هي صاحبة المكانة، وحتى قيل إن أم كلثوم كانت تطرب لسماعها، فغنت أغانيها هي الأخرى، وكنت أرددها معها بصوت مرتفع، حتى حفظتها عن ظهر قلب، ثم تحكي بعدها:"ثم لم أعد أقنع بالاستماع إلي أختي وإلى فتحية أحمد في صالة المسرح، فتسللت إلى الكواليس واتخذت لي بينها مكانًا".

وتقول: "وحدث أن وقع خلاف بين أمين عطا الله وفتحية أحمد التي طلبت أن تتقاضى أجرها قبل رفع الستار، و أصر أن يدفع لها آخر الليل، فغضبت وتركت المسرح، ووقع أمين عطا الله في مشكلة: من يغني بدلًا من فتحية!! دائما تأتي المصادفة أو يلعب الفن لعبته.. وهي مسألة سائدة في حياة الفنانين.. وجرت عينا أمين عطا الله تبحث بين أعضاء الفرقة، حتى توقفت عند هذه البنت الصغيرة التي يراها كل ليلة في الكواليس.. يراها تغني منفعلة، ويقع اختياره عليها.. ورفع

الستار لتغني أغنية لسيد درويش وكانت أول مرة تقف فيها على المسرح وصفق الجمهور مندهشًا.. ومن ليلتها كُتب على فاطمة رشدي أن يكون المسرح قدرها.

لقد تعلمت من أبي – والحديث لفاطمة – ماذا تعني كلمة "وطن" وما هو حق هذا الوطن على أبنائه؟! لقد تعاطفت مع كل حركات التحرير والكفاح ضد الاستعمار في كل مكان.. كما كرهت الاستعمار والاستبداد بكل صوره وأشكاله.. كرهت الجهل الذي يحول بين الإنسان وإدراكه للأحداث.. هذا الجهل الذي كان سببًا في ضياع ثروة أبي على يد شريكه المستغل لأمية والدتي.. كرهت الفشل وتعلمت أن الإصرار على النجاح هو النجاح بعينه.. وكانت ملامح أبي تطل من نوافذ الذاكرة حين يتحدث عزيز عيد أو سيد درويش أو يوسف وهبي، فكل هؤلاء كانت فيهم ملامح وصفات من والدي:"عزيز" بخبرته الكبيرة وإصراره على النجاح رغم كل الكبوات التي يتعرض لها، "سيد درويش" بحثه المرهف ووطنيته المتدفقة، "يوسف وهبي" بإيمانه العميق بضرورة أن يقوم الفن بمهمة التغيير ودفع المثل العليا إلى الأمام.. كأن كل واحد من هؤلاء عبارة عن رسالة يبعث بها والدي من العالم الآخر، حتى تستمر الصلة بيننا قائمة أو كأنها عبارات تكليف بواجبات لا يجب إهمالها.. وأذكر أنه في أحد الأيام

حضر إليَّ زعيم تونسي كبير كان يقيم بالقاهرة في ذلك الوقت ويتولى قيادة الحركات القومية التحريرية، بدول المغرب العربي، وكنت أقدر دور هذا الزعيم وأكن له كل تقدير وإعزاز، وكان دائم الحديث معي عن أنباء الثورة في بلاده.. وبادرنى قائلًا:

- أين أنت يا مدام فاطمة؟! لقد بحثت عنك طويلًا!

- أنا موجودة.. خير إن شاء الله.

- كل الخير.. أريدك في مهمة سرية خطيرة.

وطلب مني أن نجلس في مكان منعزل بعيدًا عن نظر وسمع أي إنسان، وسألته وأنا مأخوذة ومندهشة:

- أي مهمة سرية التي تتحدث عنها؟ إنني لا أشتغل بالسياسة..

- أعرف ذلك جيدًا، ولكنني أعرف أيضًا أنك عربية غيورة على مصالح وطنك.. وقد آن الأوان لأن تقومي بدورك في خدمة القضية العربية.. وأن يتحول فنك إلى سلاح تحملينه إلى جيوش التحرير العربي في شمال أفريقيا، ولا تخافي فقد رتبت لك كل شئ بدقة بالغة.

ولم تكن المهمة في بلد واحد فقط.. بل كانت تبدأ من طرابلس وتونس ثم الجزائر فالرباط لتنتهي في "طنجة" وكان الهدف هو توصيل

بعض الرسائل التي تحوي توجيهات لقيادات حركات التحرر في الداخل، وكانت كلمة السر التي بموجبها يتم تسليم الرسالة هي أحد حروف كلمة "كهرمان" بترتيب البلاد التي سوف أصل إليها.. وجدت نفسي أوافق على أداء المهمة وقلبى يكاد يقفز من صدري من فرط سعادته.. شعرت وقتها أنني أؤدي دوري في رحلة بدأها والدي منذ زمن بعيد.. أو أنني أوفيه بعض ما يستحق من تكريم، فها أنا أساعد الثوار الرافضين للاستعمار والاستبداد، وكان – والدي – واحدًا من هؤلاء منذ زمن ليس بالبعيد، ورغم خطورة المهمة وما قد يحدث لو اكتشفت السلطات الاستعمارية هناك طبيعتها.

وتشير فاطمة إلى أنها فوجئت بالزعيم التونسي يقول لها:

– ما الأجر الذي ترينه مناسبًا للرحلة؟

فأجابته على الفور: لا شئ بالمرة.

– كيف؟ أنا أعرف أن فرقتك سوف تتكلف مبالغ كبيرة في السفر والإقامة والأجور وغيرها ونحن مستعدون لدفع أي مبالغ تطلبينها..

– أولًا سأسافر وحدي بدون الفرقة وهذا سيجعل المصاريف قليلة، وثانيًا خدمة الوطن لا تؤجر وثق أنني لو اضطررت للذهاب بالفرقة كلها

فلن أتقاضى مليمًا واحدًا فهذا واجب عليّ ويجب أن أقوم به.. ولا تخش من المصاريف فما سوف أقدمه من عمل فني سوف يعوضني ويجزيني..

– لقد اخترتك لهذه المهمة لأنني أعرف مدى حب وإعجاب أبناء شمال أفريقيا بفنك وموهبتك وهذا سوف يسهل كثيرًا من مهمتك هناك.

وبدأت المهمة وقمت بتسليم الرسائل في طرابلس وتونس والجزائر بنجاح.. ولكن يبدو أن السلطات الفرنسية المستعمرة كانت تراقب حركة بعض عناصر الثورة في الجزائر، ولهذا تعرضت للتفتيش والاستجواب من هذه السلطات.. كنت قد تخلصت من الرسالة الأخيرة التي كان مقررًا تسليمها في "المغرب" وطلب مني مغادرة الجزائر بسرعة، لكنني رفضت فقاموا بتدبير مؤامرة ضدي كادت بحياتي حين أشاعوا بين الجمهور في أحد العروض أنني لست فاطمة رشدي بل جاسوسة أرسلتها فرنسا، وبسرعة بدأت تتعالى الأصوات المحرضة: اقتلوا الجاسوسة.. اذبحوها.. ونجوت من الموت بأعجوبة، وجاءني ضابط كبير وقال لي مهما كان رأيك فأنا أعتقد أنه من الأسلم لحياتك أن تغادري الجزائر في الحال وإلا..؟

وغادرت الجزائر إلى الرباط، وجاءني الرسول المكلف بالخطاب الأخير والذي كنت قد تخلصت منه وأخبرني أنه علم بكل ما تعرضت له.. ولكن يهمه أن يعرف محتوى الخطاب الذي كنت أحمله فوجدتني أقول له على الفور:

- ولو أنني لا أعرف بالتحديد ما كان يحويه الخطاب لكنني أؤكد لك أن الزعيم يحثكم على الاستمرار في الكفاح ضد المستعمر بكل الطرق حتى يرحلوا عن بلادنا..

تقول فاطمة رشدي : أثناء قيامي بهذه المهمة وعقب توصيل كل رسالة كنت أرى وجه أبي يبتسم في رضا وسعادة بالغين.. كنت أكاد أسمع صوته يردد "برافو يا فاطمة" وأحسست أن والدي لو كان أنجب ولدًا ما كان سوف يسعد به أكثر من سعادته بي وأنا أقوم بواجبي ضد احتلال بلادي كما كان يفعل هو في شبابه وإن اختلف المكان والتفاصيل؛ فكان يربطني به الاتفاق على تحرير الوطن ومقاومة الاستبداد.

وحين كان يصيبني بعض الفشل في مشواري مع الفن كنت أتخيل صمود والدي، فأتزود من ذكراه، لأقف مرة أخرى على قدميّ، وعندما بدأت رحلتي في التعلم كنت أجتهد فيه، وكأنني أقول له ها أنا

أتعلم يا أبي لأن جهل أمي بالقراءة والكتابة هو الذي أضاع مصنعك وتجارتك.. كما أضاع رسائل زعماء تركيا الكثيرة التي بعثوا بها إليك كشهادة لتاريخك المشرف في كفاحك ضد الظلم والفساد.. إن قيمة المرأة ليست في ابتكار الأفكار.. بل قيمتها الحقيقية كامنة في قدرتها العجيبة على النفاذ إلى فكر الرجل.. وهي تنفذ إلى فكره لا بقوة عقلها، بل بقوة بصيرتها المشرقة المستمدة من وحي فطرتها.. ولكنها متى نفذت بقوة هذه البصيرة إلى عقل الرجل لمعت في ذهنها خواطر ثاقبة ومدهشة تكمل بها فكر الرجل وتصقله، وقد توجهه.

وحين كان يصفق الجمهور بعد انتهاء عرض أحد الأعمال التي أقوم بها كنت أقول في نفسي إن الجمهور يصفق لهذا الرجل الذي علَّمني الإصرار والكفاح، وعندما كنا نقدم الأعمال التي تشعل الروح الوطنية ويخرج الجمهور من المسرح في شبه مظاهرة تهتف ضد الظلم والاستعمار.. كنت أتخيل أبي يحلق فوق كل هذه الجماهير كأن روحه تظلل مسيرات الكفاح والتحرر.. ووقت كان الثوار يحملون صورة سعد زغلول في ثورة ١٩١٩ كنت أتخيل أنهم يحملون صورة أبي فقد تحولت كل رموز الحركات الوطنية إلى نفس الملامح التي لم تفارق ذاكرتي يومًا واحدًا، كأن صوت عزيز عيد العنيد يعيدني إلى أيامي الأولى كنت أشعر أن ألحان سيد درويش تعبير صادق عن مشاعر

**والدي، ولذلك أحببت هؤلاء وتأثرت كثيرًا بهم فهم مرادفات أو أجزاء من هذا الرجل الذي تعلمت منه الكثير.. وتحملت أعباء أحلامه وآماله التي لم يمهله القدر ليقققها.. وأرجو أن أكون قد نجحت في تحقيق بعض منها.**



# عزيز عيد:

# صانع نجوميتي ونجاحي

مـع تقـدم السـن وزحـف الشـيخوخة إلـى أجسـادنا وقلوبنـا مـا أحوجنا إلى أن نعود أطفالًا مرة أخرى، وربما نعود فعلا لعقولنا إلى اهتمامات الأطفال.. لكن حين نعود هل نجد أحباءنا؟!.. هل نجد الأب الذي ندفن رؤوسنا في صدره أو نتمسح في ساقيه أو نعبث في شعره؟! إنها الأشياء التي نحتاجها كثيرًا، لكننا نعجز عن الاحتفاظ بها طويلا.. وتنحدر دمعة ساخنة من عين فاطمة رشدي، وتعتذر لقد تذكرت ابنتي عزيزة.. ربما تكون تحتاجني في هذه اللحظة، فأنا أفتقد أبي كثيرًا.

يرى العلامة ابن حزم في طوق الحمامة أن: "الحب أوله هزل وآخره جد.. دقت معانيه لجلالتها عن أن توصف فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة.. القلوب بيد الله، لا يلزمها غير المعرفة والنظر في الفرق ما بين الخطأ والصواب".

ويقول إن من علامات الحب: إدمان النظر.. والإقبال بالحديث والاتصال.. والإنصات إلى حديث المحبوب إذا حدث.. وتصديقه وإن كذب. وموافقته وإن ظلم.. والشهادة له وإن جار.. واتباعه كيف سلك وأى وجه من وجوه القول تناول.. والإسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه.. وتعمد الجلوس بقربه والدنو منه.. والاستهانة بكل

خطب جلل داع إلى مفارقته.. واضطراب يبدو على المحب عند رؤية من يشبه محبوبه.. أو عند سماع اسمه، وكرم المرء ببذل كل ما كان يقدر عليه، مما كان متمنعا به قبل ذلك.. كأنه هو الموهوب له والمسعى في حظه.. فكم بخيل في الحب جاد.. وجبان تشجع.. وغليظ الطبع تطرب.. وجاهل تأدب.. وفقير تجمل.. وناسك تفتك.. ومصون تبذل.

وهذه العلامات تكون قبل استعار الحب وتأرجح حريقه.. وتوقد شعله.. واستطارة لهبه.. فأما إذا تمكن وأخذه فحينئذ ترى الحديث أسرارًا.. والإعراض عن كل ما حضر إلا عن المحبوب جهارًا.

لعب عزيز عيد دور الفتى الأول على مسرح حياة فاطمة رشدي حتى قبل أن يتم رفع الستار وإعلان مولدها في دنيا الفن.. وظلَّ يلعب دور البطولة حتى نهاية حياته وإن كان يتوارى من وقت لآخر حسب ما اقتضاه السيناريو الذي خطه القدر، ونظرا لمساحة دوره الكبيرة واختلاف طبيعته من وقت لآخر من الفنان الأستاذ إلى الزوج الحبيب إلى الصديق، فإننا نتعرض لدوره تبعًا لترتيب هذه الأشكال على مسرح حياة "سارة برنار الشرق".

كان اللقاء الأول بين عزيز عيد وفاطمة رشدي في أحد المقاهي الشهيرة التي يرتادها الفنانون بشارع عماد الدين.. ولم تكن قد رأته من قبل أو تعرف من هو؟ رغم أنها كانت تتردد على هذا المقهى من وقت لآخر، وقد قدمها إليه محمد تيمور الذي كان يشملها بالعطف والتشجيع منذ أن رآها تقدم بعض المونولوجات في أحد ملاهي "روض الفرج" وهي طفلة لم يتجاوز عمرها الثانية عشرة قائلًا لها: تعالي أعرفك على الأستاذ الكبير عزيز عيد.

ولفت انتباهها الاحترام التي لف بها "تيمور" اسم عزيز عيد، خاصة أنه – أي تيمور – كان من كبار الكتاب الأرستقراطيين في ذلك الوقت..

وتساءلت في نفسها من هو الذي يحظى بكل هذا الاحترام والتقدير من رجل في مكانة الأستاذ تيمور، الذي أخذها من يدها متوجهاً إلى عزيز عيد وهو يقول: «دى بطاطا يا أستاذ.. وهي تحمل روح فنانة وتبشر بالكثير في دنيا الفن».

وكانت الطفلة الصغيرة التي مازالت مندهشة تدقق النظر في هذا الأستاذ. إنه رجل قصير.. أصلع الرأس.. ذو أنف كبير ومقوس، في

عينيه بريق غريب شديد اللمعان رغم هدوئه الظاهر وصوته المميز جدًا.

وتقول: من يومها ومازالت صورة عزيز عالقة بذاكرتي ولم تتعرض أبدًا للتلاشي، لأنني أصبحت أعتبره نموذجًا للعظماء، حتى إنني عندما أسمع اسم نابليون أتخيل أنه صورة أخرى من عزيز عيد، وكذلك كل الزعماء السياسيين الذين لم أعرف ملامحهم، وأفاقت الطفلة من أفكارها على صوت عزيز الهادئ ونظرته المتأملة قائلًا:

– هل أنت فنانة؟

– نعم يا أستاذ «وكانت فاطمة في طفولتها تعاني من لثغة»

– فنانة إزاى يعني؟

– أغني

– ما شاء الله.. وهل تجيدين التمثيل؟

– لا.. ولكنني سوف أكتب رواية مثل الأستاذ تيمور.

– يعني أنت شاطرة في القراءة والكتابة.

– لا أنا لا أعرف القراءة أو الكتابة، لكني سوف أكتب رواية وكفاية إن عندي أفكار.

وضحك عزيز عيد ضحكة كبيرة، وتوجه بحديثه إلى تيمور قائلًا:

– عندك حق إنها لطيفة جدًا ومادة خام جيدة، ولكنها تحتاج إلى أن تصقل وتشكل، لأنها فعلًا «تحفة» جاءت في الوقت المناسب، وعندي لها دور يناسبها جدًا في مسرحية «القرية الحمراء».

ولم تكن فاطمة تعرف في ذلك الوقت أن فكرة تقديم هذه المسرحية لم تكن سوى وليدة اللحظة بعد أن اقترض عزيز عيد خمسة جنيهات من تيمور قدَّر أنها كافية لإيجار المسرح وتكوين فرقة مسرحية.

وتساءلت الطفلة عن المسرحية ودورها ولم تستطع أن تداري فرحتها وخوفها في الوقت نفسه.. ولم يكن من الصعب على الفنان الحساس عزيز أن يشعر بذلك.. فطمأنها قائلًا:

– لا تخافي سأعلمك كل شيء.

وانصرف عزيز بعد كلمته الأخيرة وكأنه قطع على نفسه عهدًا بأن يجعل من هذه الطفلة أسطورة المسرح العربي.. وربت محمد

تيمور على كتف فاطمة مهنئًا لها، فقد استطاعت أن تكسب رضا وإعجاب أستاذ المسرح في البلد، وقال لها:

– لو اجتهدت وثابرت مع عزيز سوف يصنع منك ممثلة كبيرة، لأنه متخصص في صناعة النجوم.. حتى إذا فكرت في أن تصبحي كاتبة ومؤلفة، فسوف يأخذ بيدك في هذا الطريق أيضًا.

## البداية.. مفاجأة

ولم يمض أكثر من يومين حتى بدأ عزيز في عمل بروفات المسرحية الجديدة.. وكانت فاطمة مرتبكة.. خائفة نتيجة خوفها الشديد من خشبة المسرح الذي تقف عليها ممثلة للمرة الأولى.. وتولى عزيز تدريبها على الدور الذي اختاره لها، وهو دور «عين أبوها» فتاة صغيرة تتصدى لجبروت عمدة القرية الظالم، الذي يحاول اغتصابها وتسعى للهروب منه.

وفي أول أيام العرض بهرت الممثلة الناشئة عزيز عيد الذي كان يقوم بدور العمدة الظالم وقدرته الفائقة على تجسيد الدور لدرجة أنها قفزت هاربة من فوق خشبة المسرح. مستنجدة بأمها عندما اقترب منها في مشهد الاعتداء عليها، ونسيت تمامًا أن ما يحدث هو عرض مسرحي.. ورغم أن عزيز اضطر إلى إصدار الأوامر بإنزال الستارة عقب

هروبها المفاجئ إلا أنه لم يغضب من تلميذته الجديدة بل على العكس تمامًا أخذ يتقرب إليها، ويشرح لها الكثير مما تجهله من عالم الفن والتمثيل، ويحكي لها بمودة عن تجاربه الصعبة والعقبات التي واجهته من خلال عمله مع عدد كبير من الفرق المسرحية المختلفة.

تقول فاطمة: في إحدى جلساتي مع الأستاذ عزيز دخل علينا أمين صدقي ووجَّه حديثه إليه قائلًا.. ماذا عن أخبار تلميذتك الجديدة؟

فأجابه: إنها جوهرة.

فعلَّق أمين موجهًا حديثه لي: أبشري يا فاطمة الأستاذ ينوي أن يصنع منك روزاليوسف الثانية.

فضحك عزيز قائلًا: إن طموحاتي بالنسبة لها أكبر من ذلك بكثير فاستعدادها الفني عظيم وصوتها يشبه إلى حد كبير صوت «سارة برنار»..

وبالطبع لم تكن فاطمة تعرف من هي «سارة برنار» ولمح عزيز الدهشة والاستفهام على وجهها فأضاف: إنها أعظم ممثلة مسرح في

العالم، وسوف أحكي لكِ عنها في الوقت المناسب، ولكن يكفي أن تعرفي أنني اضطرت إلى العمل «كومبارس» خلفها حتى أتمكن من مشاهدتها عن قرب حين جاءت إلى القاهرة لتقديم أحد عروضها المسرحية.

وتؤكد فاطمة في مذكراتها أنها: منذ هذا الوقت وأنا أحلم بأن أصبح مثل هذه الممثلة العظيمة التي يقبل أستاذ كبير مثل عزيز أن يقوم بدور «كومبارس» حتى يشاهدها وهي تمثل، واستمر عزيز في تبنيه «لسارة برنار الشرق» ورغم حداثة سنها وجهلها إلا أنه لا يجد مانعًا من أن يتحدث إليها عن آماله وأحلامه بالنسبة للمسرح.. كان يحدثها عن المُثل العليا والأدب والفكر والممثلين العظماء.. محاولًا أن يبسط حديثه معها للمستوى الذي تستطيع إدراكه مثلما كان يفعل مع جمهور المسرح الذي كان تعاني الغالبية العظمى منه من الأمية.. وتؤكد فاطمة أنها كانت تستمع بشغف وفهم لكل ما يقوله حتى وإن استعصى على إدراكها المحدود.

وتتابع: خلال جلوسي إلى عزيز كنت أشعر بمتعة لا أعرف أسبابها، وكنت أتجاهل كل الدعوات التي يوجهها إليّ الشباب من أبناء الأثرياء، وحدث مرة أن عرض عليَّ أكثر من واحد منهم أن يقوم

بتوصيلي بسيارته فاعتذرت وفضَّلت أن أركب «الترام» مع عزيز «الكبير» ولاحظ عزيز ذلك فقال لي: أعلم يا فاطمة سر إعجابك بي.. فهذا طبيعي بين الفنان والفنان وأؤكد لك أن بداخلك روح فنان عبقري وما أحوج الفن إلى أمثالك، ولكنني أشفق عليك من متاعب هذه المهنة والصعاب التي يتعرض لها الفنان، وأخاف عليكِ جدًا من تصميمك وعنادك وإن كنت لا أستطيع أن أخفي إعجابي في نفس الوقت.

واستغربت فاطمة هذا الحديث من أستاذها ومسحة الحزن التي بدت واضحة على وجهه فسألته: لماذا تقول هذا الكلام؟ فأجاب عزيز.. إن هذا الكلام لن يقوله لك غيري.. فأنا عاشق للفن، أجاهد لأبني هيكله من عصارة فكري واحتراق أعصابي وربما لا يقدر أو يفهم ذلك أحد غيري، لهذا لا أريد أن أجبرك على مواجهة كل هذا العناء.

وسرح عزيز بعيدًا.. بعيدًا.. وكأنه لا يشعر بكل العالم المحيط به بل نفذ من حدود جاذبية الأرض ليسبح في عوالم أكثر رحابة.

لقد استطاع عزيز –كما تقول فاطمة – أن يجعلني أشاركه أحلامه وهمومه وأن أشعر معه أنني في حالة مغامرة دائمة، وأحببت هذه الحالة وهذا الإحساس الذي لم أجده مع أي إنسان آخر.. ومن

خلال لقاءاتي المتكررة وجلساتي الطويلة معه عرفت أنه رغم اسمه الكبير لا يتمتع بشيء من الغنى أو الثروة.. بل هو فقير يعاني من الحاجة في أوقات كثيرة.. وتجرأت وسألته وكانت إجابته في غاية الغرابة بالنسبة لي في ذلك الوقت وإن كنت عرفت ماذا يعني فيما بعد؟ فقد أجابني قائلًا: أنا فنان ولست تاجرًا أو إنسانًا عاديًا، وكل تفكيري ينصب على المسرح ولا شيء غيره لدرجة أنني أنسى في كثير من الأوقات هل أكلت أم لا؟ إنني مثل الجندي الذي يحارب بمفرده وليس أمامه سوى الانتصار.. حتى أتمكن من خلق مسرح بالمعنى المفهوم وليس هذا المسخ الردئ الذي تقدمه الملاهي والكازينوهات.

وتعترف بأنها لم تكن تفهم ما يقوله، ولكنها أُخذت بانفعاله الصادق وشعرت ببعض الشفقة على هذا الرجل أنها تمنت أن تكون رفيقة رحلته الشاقة.. فهذا الرجل يسعى إلى تحقيق شيء لا يهتم به الآخرون.. شيء أكبر من المال والثروة شيء له طعم السعادة التي تشعر بها وهي معه..

وبدأت جلساتها إليه تطول وعرفت معاناته طوال رحلته مع الفن والتي تجسدت في العمل بدون أجر وأحيانًا أخرى يتعرض للضرب والطرد.

وكانت التلميذة تتألم كثيرًا لأستاذها الذي كان يحكي لها في سعادة تشبه سعادة الأطفال.

واستمر عزيز ينفخ من روحه وخبرته في نفس وعقل تلميذته الصغيرة في الوقت الذي أحضر لها رغم فقره الدائم عددًا من المعلمين وشيوخ الأزهر، لتعليمها القراءة والكتابة والإلقاء وكان يطلب منها باستمرار الحرص على قراءة القرآن. رغم أنه كان وقتها ما يزال مسيحيًا، إلا أنه كان يؤمن بأن القرآن هو المصدر القوي لإجادة اللغة العربية.. وكانت فاطمة تحاول أن تتقدم بسرعة في دروسها بسبب رغبتها في إرضائه وتحقيقًا لآماله التي يعقدها عليها.. ونجحت بالفعل في أن تخطو خطوات واسعة في هذا الاتجاه.. لم تكن فاطمة لتحقق كل ما وصلت إليه في ظل وجودها في مسارح وملاهي روض الفرج.. وكان حلم عزيز بدأ يشكل بعد أن أصبحت هي جزء من هذا الحلم.

وتقول فاطمة: ذات يوم أخبرني عزيز أنه قرر السفر إلى إيطاليا للقاء يوسف وهبي.. وكانا على اتصال دائم وطلب مني الإسراع في إجادة القراءة والكتابة حتى أكون جاهزة عند عودته، لأنه يفكر في مشروع كبير يحقق من خلاله حلمه بالنسبة للمسرح وبمجرد سماعي لنبأ سفره شعرت بحزن شديد لم أعرف له سببًا غير أنه أصبح بالنسبة

لي شيئًا آخر غير الأستاذ والفنان.. إنه هذا الشيء الذي يسعدنا دون أن نستطيع أن نعبر عنه بالكلمات ولكننا نستدل عليه بما نشعر به في قلوبنا.. لقد شعرت وكأن العالم كله سوف ينفض من حولى بمجرد سفره وكدت أرجوه ألا يسافر لولا هذا الفرح الذي يكاد يقفز من عينيه.. لقد بدأ حلمه الكبير يتمكن من نفسه.

وبالفعل سافر إلى إيطاليا والتقى بصديقه يوسف وهبي، وأثمر هذا اللقاء عن وضع الخطوط العريضة لفرقة «رمسيس» التي أعتبرها ميلادي الحقيقي في عالم الفن.. كما هي الميلاد الحقيقي للمسرح المصري بالشكل الذي كان يحلم به عزيز عيد.. وكان من الطبيعي أن أكون واحدة من أفراد فرقة «رمسيس» رغم صغر سني بحكم علاقتي بعزز الذي كان يتولى الإخراج في الفرقة الجديدة.. وكم كانت سعادتي بذلك حيث أصبحت زميلة لكل الفنانين الكبار في مصر في ذلك الوقت بعد أن كنت تلميذة لعزيز فقط.

إن جيل عزيز ورفاقه وتلامذته هو الذي تحمَّل عبء النهوض بفرقة «رمسيس» وكان النجاح الذي تحقق ثمرة طبيعية لجهوده الدؤوبة المتفانية وروح العطاء والإخلاص التي كانت تفيض منه فتغمر

الجميع.. فيتحول كل فنان أو عامل إلى عاشق للعمل الذي يقوم به مهما كان بسيطًا أو صغيرًا.

وانهمك عزيز في العمل كعادته وإن كان هذا العمل هذه المرة له مذاق خاص، فهو يعمل ما يريده لا ما يريده الآخرون.. انهمك ليكتب ويترجم ويخرج أعمال الفرقة وبجانب كل ذلك كان يشرف على الديكور والمناظر ولا يترك شيئًا حتى يتأكد بنفسه من الوصول إلى أعلى درجات الدقة.

ولم تكن الطفلة فاطمة قادرة على استيعاب كل ما يحدث.. فلم يكن عقلها قد وصل إلى إدراك طبيعة الفنان حتى أنها تقول: كان عزيز لا يعرف الملل أو التعب، فكانت البروفات تستمر طوال النهار وجزءًا من الليل ولا تتوقف سوى لحظات قليلة يلتقط فيها الفنانون والعمال أنفاسهم ويخرجون لتناول «ساندوتش» أو كوبًا من الشاي في الوقت الذي كنت أضيق ذرعًا بكل هذا الكم من العمل والتكرار المستمر للبروفات، وعندما أفكر في إعلان تبرمي والتعبير عن ضيقي كانت نظرة واحدة من عزيز أو إليه تجعلني أنسى متاعبي تمامًا.. فقد كان يقضي اليوم كله داخل المسرح في حجرة خاصة جعلها مقرًا دائمًا لإقامته لا

يكف طوال النهار عن توجيه الممثلين أثناء البروفات والإشراف على كل الأعمال الأخرى، وبمجرد انصرافنا كان يبدأ في إعداد الديكورات والمناظر وكثيرًا ما كان العمال يحضرون إلى المسرح في الصباح، فيجدونه نائمًا على المسرح وهو ممسك ببعض الأوراق.

ورغم هذا المجهود الكبير الذي كان يبذله عزيز إلا أنه لم يكن يلتفت كثيرًا إلى الأمور المادية حتى أنه كان لا يحصل على مرتبه والذي حدده له يوسف وهبي وقدره ثلاثون جنيهًا.. لقد كان عشق عزيز للفن يفوق كل حد، وهكذا كان تلامذته وزملاؤه مثل يوسف وهبي وروزاليوسف وحسين رياض وأحمد علام وحسن فايق وزينب صدقي، سرينا إبراهيم، ومختار عثمان، والبارودي وغيرهم.. لقد كانت روح عزيز تلف المكان بالحب والرغبة في النجاح.

وجاء يوم الحصاد كما كان يسميه عزيز عيد.. وتم الافتتاح الرسمي لفرقة «رمسيس» بمسرحية «المجنون» وكانت فاطمة تقوم بدور صغير يتناسب مع عمرها الصغير ونجحت المسرحية نجاحًا كبيرًا واعتبرها النقاد عملًا مسرحيًا مصريًا خالصًا.. وقد غمر النجاح الكبير المشاركين في العمل وكتبت بعض الأقلام عن فاطمة صاحبة الدور الصغير بشكل جيد.. وتنبأ لها البعض بمستقبل كبير في دنيا الفن.



# طلبني للزواج قائلًا:

# أشهرت إسلامي منذ وقت قصير

كان النجاح الذي حققته فرقة «رمسيس» نقطة تحول كبيرة في حياة فاطمة رشدي وعزيز عيد. فهي للمرة الأولى ذاقت طعم النجاح وعرف اسمها طريقه إلى صفحات الجرائد.. وشعر عزيز بأنه بدأ أولى خطواته صوب حلمه الكبير.. وبدأت أحواله المادية في الاستقرار نسبيًا من خلال ما يتقاضاه من أجر، وإن كان لا يتناسب مطلقًا مع المجهود الذي يبذله فبدأت العلاقة بينهما تتعمق بشكل يخرج بها عن نطاق الأستاذ والتلميذة، وكان نجاح أعمالهما التالية موطدًا للعلاقة الجديدة..

تقول «سارة برنار الشرق»: كانت سعادتي بالوقوف على خشبة المسرح تفوق الوصف.. فأنا أمثِّل أمام نجوم الصف الأول في مصر ويشاهدني عدد كبير من المثقفين ووجهاء المجتمع في ذلك الوقت، بعد أن كنت أؤدي المونولوجات أمام السكارى في ملاهي روض الفرج.. لقد بدأت طموحاتي تتحقق وإن كانت أحلامي أصبحت بلا حدود.. كما كان عزيز يشعر بسعادة كبيرة واستقرار لم يعرفه من قبل.. وقد كان هذا النجاح دافعًا للمزيد من التقارب بيننا وأصبح كل منا يشعر أن ما يربطه بالآخر شيء آخر بخلاف الفن، هذا الشيء يشد كلينا للآخر وكأنه رباط خفي.. كنت أقاسمه نجاحه وأحلامه وكان يقاسمني سعادتي وطموحي.. لقد كان هذا الشيء هو الحب لكنه ظل

يرفض أن يتحدث عنه، ولكنني عرفته جيدًا، لأنني شعرت به، لم يعد بوسعي أن أتحمل غيابه يومًا واحدًا، رغم تبرم أمي الدائم من الأوقات الطويلة التي أقضيها بصحبته.. هذا التبرم الذي كان يصل إلى حد الثورة في كثير من الأحيان.. وكنت أحتج دائمًا بأنه أستاذي وفنان كبير أتعلم منه، إلا أنها لم تكن مقتنعة بذلك.. كذلك أنا لم أكن أصدق نفسي فقد كنت أحبه.

يقول الأديب إبراهيم المصري: "متى أحبت المرأة ترددت طويلًا في مصارحة الرجل بحبها يقينًا منها أن الرجل متى تأكد أنه محبوب زايلته في غمرة النصر وروح الكفاح فضعف حبه على الفور، فالمرأة تخفي وتصمت لتدع الرجل يتكلم ويكافح ويتألم حتى تطمئن إلى صدق عاطفتها.. ومع ذلك فالمرأة لا يمكن أن تطمئن كل الاطمئنان إلى الرجل، لأنها تخاف من فتنة محاسنها على مستقبل حبها.. وتظل تعتقد أن الرجل لا ينشد من كفاحه إلا التمتع بها.. فالمرأة تطمع في أن يحبها الرجل لشيء أغلى وأبقى من الجسد، وهو الحب الروحي».

والمرأة تحب الرجل الذي يعرف كيف يسيطر على مشاعره وشهواته، لأن هذه السيطرة الشامخة تحميه من فتنة إغرائها.. وسحر

محاسنها، فتدفعها بالرغم منها إلى السعي إليه والتشبث به.. فهي لا تنشده لذة الحواس.. بل تنشده لذة الطاعة والخضوع.

## الزواج الأول

ولم يطل صبر فاطمة طويلًا.. ففي أحد الأيام فوجئت بعزيز يطلبها للزواج وتعترف بأنها فرحت فرحًا شديدًا، لأنها أيقنت أنه يحبها ولكنها سألته كيف نتزوج وهي مسلمة وهو مسيحي وتشرح هذه اللحظة بقولها كانت الفرحة الكبيرة.. وكذلك المفاجأة حين أخبرني أنه أسلم منذ ثلاثة شهور.. وأنه آن الأوان لهذا الحب الصامت أن يُعلن عن وجوده.. ولم يكن بوسعي سوى الموافقة على طلب هذا الرجل الذي أدين له بالفضل وأشعر تجاهه بكل الحب.. لقد كان عزيز هو مصدر السعادة الوحيد في حياتي في هذه الفترة.. والمرأة بطبيعتها تحب الرجل المتسامح الطيب الذكي الذي يذكرها بأنها مرغوبة دائمًا.

وتزوجت التلميذة من أستاذها العجوز.. لكن كيف كانت الحياة؟

تقول: بعد الزواج اكتشفت فيه جوانب أخرى لم أكن أعرفها من قبل، فهو شديد الحساسية بدرجة لا يمكن تصورها.. ودود جدًا لدرجة تشعر معه أن العالم بأسره ملك يديك.. رجل يستطيع أن يتغلب على

كل المشاكل وكأنها غير موجودة أصلاً.. يرضى بالفقر ولا يشكو منه أبدًا.. عنده قدرة فائقة على تحمل الجوع وهو سعيد.. يقنع بأي شيء مهما كان بسيطًا، لكنه يرفض تمامًا أن يخرج عملًا واحدًا وهو غير راض عنه مهما كانت المكاسب التي سوف تعود عليه.. وأحببت عزيز حبًا لم أكن أدركه في نفسي وأصبحت على استعداد تام لمشاركته أحلامه وآلامه.. حتى الموت إلى جانبه.. ولم يكن هذا الزواج ليمر بشكل عادي مثل كل الزيجات في الوسط الفني فقد تعرضت فاطمة لموجة من الانتقادات والاتهامات بأنها استغلت مراهقة هذا الشيخ العجوز الفنان وأوقعت به طلبًا لمساندته لها على خشبة المسرح والساحة الفنية وهو الأستاذ الكبير.. كما تعرضت لموجة من الهجوم من بعض رجال الدين المسيحي.

ويبدو أن بعض هذه الاتهامات كانت صحيحة؛ فقد أعلنت فاطمة فيما بعد عقب انفصالها عن عزيز، أنها لم تكن لتحب هذا الرجل العجوز، ولكنها كانت تسعى لاستغلال اسمه الكبير ومكانته في الصعود إلى عالم النجوم والشهرة.

تقول: لقد كانت السعادة التي كنت أحياها مع عزيز سواء في المنزل أو على خشبة المسرح لا تجعلنى أهتم بكل ما يقال.. بل كنت

أراها شيئًا تافهًا بالنسبة لما يتحمله عزيز من صعوبات وتحديات في سبيل أحلامه التي اكتشفت أنها لا تنتهي، فهو يسعى دائمًا لتحقيق المزيد من النجاح.

وكنت على استعداد كامل لتحمل أى شيء من أجل أن أظل أشاركه حلمه ونجاحه، خاصة بعد أن أصبحت «البريمادونا» في فرقة رمسيس بعد انسحاب الفنانة الكبيرة روزاليوسف.

وبدأ نجم فاطمة في التوهج ونجومية عزيز تخبو وبدأ المشوار الصعب.

تقول «البطلة»: كان عزيز ينسى تمامًا صحته أثناء العمل ولا يشعر بالتعب إلا بعد أن ينتهي العمل، فكنت له بمثابة العصا التي يتوكأ عليها بعد يوم طويل من العمل الشاق، وشعرت أن هذا واجبي نحوه فهو زوجي الذي أعتمد عليه وأستفيد من تجاربه وخبراته، ولقد حققت هذه الفترة نجاحًا لم أكن لأبلغه بدون وجوده إلى جواري.. ولقد كان هذا النجاح المستمر هو الدعامة التي تستند عليها علاقتنا بجانب طفلتنا عزيزة التي جاءت ونحن في قمة نجاحنا الفني واستقرارنا العاطفي.

استطاع عزيز أن يحقق حلمه بأن يصل بفرقة رمسيس إلى مستوى الفرق المسرحية العالمية التي كانت تزور مصر من آن لآخر والتي كان عزيز يُقبل على عروضها بفضل إجادته للإنجليزية والفرنسية، وأصبحت فرقة رمسيس بالفعل قادرة على منافسة أعظم الفرق الأوروبية بل وتفوقت عليها في عدد من الأعمال مثل «غادة الكاميليا» «مونمارتر» «المسترفور» «بلانشت» «الذبائح» ولم يتأت ذلك بسهولة بل إن المجهود الذي بذله عزيز من أجل الوصول إلى هذا المستوى كان يرهق صحته.. فهو يصنع كل شيء على خشبة المسرح وفي المنزل لا يتركها أبدًا فهو دائم التوجيه وإبداء النصائح والملاحظات على أداء فاطمة لقد نجح بالفعل أن يجعل من فرقة رمسيس جامعة تقدم الفن الصادق والثقافة الحقيقية.

ولكن تشاء الأقدار أن تترك فاطمة وعزيز فرقة رمسيس، وهي في أوج نجاحها بعد أن ساءت حالته بسبب الشكوك والدسائس بين عدد من بطلات الفرقة بدافع الغيرة من النجاح الكبير الذي حققته الزوجة وزوجها العجوز.

تقول: لقد ضايق نجاحي ونجاح عزيز عددًا من ممثلات الفرقة، لدرجة أن البعض تعمد التشويش عليّ أثناء عرض إحدى المسرحيات

وتطوَّر الأمر إلى مشاجرة كلامية على المسرح اضطرت عزيز إلى إنزال الستار ووقف العرض، ثم رحيلنا سويًا من فرقة «رمسيس» وبداية مرحلة جديدة من حياتنا الفنية كان لها أثر كبير على علاقتنا كزوج وزوجة.

وبالطبع كان لخروج الزوجين من فرقة «رمسيس» أثر كبير في نفس كل منهما.. فالزوج هو صانع مجد هذه الفرقة التي كانت الحلم والحياة بالنسبة له.. كذلك الزوجة التي حققت نجوميتها واسمها كأحسن ممثلة مسرحية في مصر.. لقد كان انكسارًا من النوع المُر.. ولكن عزيز العنيد ما كان ليستسلم أبدًا وهو الذي لا يعرف كيف يعيش بعيدًا عن المسرح؛ فاقترح على زوجته إنشاء فرقة مسرحية جديدة تحمل اسمها ولم يكن من الصعب عليه وهو الخبير في مثل هذه الأمور تكوين هذه الفرقة، واختار لها مسرحًا مجاورًا لفرقة «رمسيس».. رغم الإمكانيات المحدودة والتي كانت هي كل مدخراتها من سنوات العمل مع فرقة رمسيس.. وانضم إلى الفرقة الجديدة عدد كبير من تلامذة عزيز مثل: حسين رياض وعباس فارس وزكي رستم ومحمود المليجي واستيفان روستي.. وغيرهم.

وتذكر فاطمة أن عزيز كان رافضًا للتخلي عن أحلامه، وكذلك كنت أرفض أن أتخلى عن المكانة التي وصلت إليها فلم يكن أمامنا اختيار آخر سوى النجاح الذي تحقق بالفعل من أول عمل قدمته فرقتي الجديدة هذه الفرقة التي ساهمت في دفع الحركة المسرحية خطوات واسعة، بسبب المنافسة الشديدة التي اندلعت بينها وبين فرقة «رمسيس» وقدمت هذه الفرقة الوليدة عددًا كبيرًا من الأعمال التي لاقت نجاحًا كبيرًا مثل «مصرع كليوباترا»، «سميراميس»، «مجنون ليلى»، «أحمس الأول»، «جان دارك»، «هاملت» وغيرها.

ما حققته من نجاح مع عزيز من خلال فرقتي لا يقل بأي حال من الأحوال عن النجاح الذي حققناه مع فرقة «رمسيس» إن لم يكن يزيد وقد أطلق عليَّ الجمهور من خلال الأعمال التي قدمتها خلال هذه الفترة لقب «سارة برنار الشرق».. ويذكر أنه كانت الفنانة روزاليوسف هي أول من أطلق عليَّ لقب «سارة برنار» عندما قدمت دور غادة الكاميليا وهذه الفترة تعتبر من أخصب الفترات التي مر بها المسرح المصري، فقد وصلت المنافسة مع فرقة رمسيس إلى حد أن نقدم رواية واحدة في نفس الوقت وكان إخلاص عزيز وتفانيه في العمل يحسم المنافسة لصالح فرقتنا دائمًا.

ولكن هذا النجاح الجماهيري لم يكن يعبر عن الواقع المادي الذي كان يتدهور بشكل مستمر بسبب التكاليف الباهظة التي كان ينفقها عزيز على الديكورات والتجهيزات الفنية والتي رفض أن يتخلى عنها رغم الأزمات المادية المستمرة.

وتعلق «سارة برنار الشرق» على الأزمات التي عانت منها فرقة عزيز عيد المسرحية: "لقد كان النجاح يحملنا مصاريف باهظة، وأدت المنافسة إلى ارتفاع كبير في أجور الممثلين واستمرت حالة النزيف المادي حتى اضطررنا إلى بيع جزء من أثاث منزلنا للإنفاق على إحدى المسرحيات.. وبدأت الأزمة المالية تنعكس على علاقتي بعزيز الذي كان ينسى العالم من حوله والظروف المادية طالما يفكر في شيء جديد يدور في خياله وكان هذا يضايقني جدًا رغم إعجابي الشديد بما يبدعه لكن التكاليف الكبيرة التي كنا نتحملها بسبب ذلك، وإصراره على تنفيذ ما يراه واجبا كانت تثير العديد من الخلافات بيننا، وأذكر أنه خلال هذه الأزمة المالية الطاحنة تم الاتفاق على تقديم رواية «كليوباترا» على مسرح الأوبرا.. وحمدت الله أن المسرح مجهز بالديكورات والمناظر التي تم استيرادها من أوروبا.. لكن عزيز لم يكتف بذلك اصطحب مصمم الديكور العالمي «لموardي» إلى المتحف، حيث أقنعه بضرورة تصميم أعمدة مصرية قديمة، وقد تسبب

إصراره على عمل هذه الديكورات في إنفاق آلاف الجنيهات التي زادت من حد الأزمة المالية.

لقد كان عزيز فنانًا من طراز خاص جدًا.. الفن عشقه الأول، لم يلتفت طوال تاريخه إلى أي مكاسب مادية.. كان إنسانًا شديد الإحساس بالآخرين يملك مشاعر وطنية قادرة على التوحد مع كل أبناء الوطن العربي.

وفي محاولة لإنعاش الأحوال المادية للفرقة قررنا -كما تقول فاطمة - السفر إلى بعض الأقطار العربية وتقديم عدد من العروض، ورغم النجاح الجماهيري الكبير لم يحدث الانتعاش المالي الذي كنا نتوقعه، وأثناء هذه الرحلة حدث أن قدمنا عرضًا رائعًا في بغداد وبلغ الإيراد أكثر من ألف جنيه، ورأى عزيز أن نتبرع بهذا المبلغ لضحايا الفيضانات التي اجتاحت بعض مدن العراق وقتها، ولم أستطع أمام إنسانيته الشديدة وإحساسه بمعاناة إخوانه من أبناء الشعب العراقي أن أُبدي أي اعتراض رغم الأزمة المالية التي نمر بها.

ولم تكن الأزمة المالية التي تمر بها فرقة «عزيز عيد» و«فاطمة رشدي» خاصة بهما فقط.. بل كانت هناك أزمة عامة أصابت معظم

الفرق المسرحية في مصر بسبب ظهور فن السينما وتحول عدد كبير من قيادات المسرح وجمهوره إلى هذا الفن الجديد المبهر.

كانت خلافات فاطمة مع عزيز مستمرة، فهو يرفض أن يتنازل عن تقديم الأعمال المكلفة جدًا.. كما يرفض تقديم أعمال اللغة العامية التي لجأت إليها معظم الفرق المسرحية.. وكان عزيز عنيدًا جدًا حتى إن نجيب الريحاني صديقه كان يتعجب من إصراره على تقديم هذا الفن الذي يؤدي إلى الخسارة.. ويقول له تنازل بعض الشيء من أجل زوجتك وابنتك.. لكن عزيز لا يعرف معنى التنازلات.

وحدث في هذه الفترة أن ظهر في حياة فاطمة مليونير يهودي أبدى إعجابه الشديد بها واستعداده لفعل أى شيء من أجلها.. وقد استطاعت بفضل عطاياه أن تقف بالفرقة مرة أخرى وتحقق نجاحًا كبيرًا أعادها إلى سابق مجدها.. في الوقت الذي كانت معظم الفرق المسرحية تلفظ أنفاسها الأخيرة.. تقول فاطمة: أثار هذا النجاح الغيرة والحقد في بعض النفوس المريضة الذين ضايقهم وقوف المليونير وراءي بملايينه، فبدأوا في ترديد بعض الشائعات حول علاقته بي وصدَّق عزيز هذه الإشاعات التي أكدتها الخسائر الكبيرة التي كان يتحملها المليونير.. فطلقني عزيز ولكن استمرت علاقتنا في مجال

الفن الذي أصبح هو الحب الذي يجمعنا على خشبة المسرح فقط.. وصدق القائل: إن المرأة تخاف من حب الرجل الذكي.. الفنان لأنه متقلب في حبه، فهو يحب مبكرًا.. ويترك المرأة بسهولة.. فكما أن الفنان في كتاباته وإبداعاته متقلب فهو متقلب في حبه أيضا.

يقول شكسبير: «لا تقف أطماع المرأة عند حد ولا تقنع أبدًا.. فلو أنها ملكت خزائن الأرض، لطمعت في خزائن السماء».

لم يكن من المعقول أن تستمر فرقة «فاطمة رشدي» في ظل الأزمة التي أغلقت أبواب كل الفرق المسرحية بما فيها فرقة رمسيس.. ففي عام ١٩٣٤ كانت الفرقة تقدم عرضًا مسرحيًا على مسرح «الأنفوشي» بالإسكندرية وتفاقمت الخلافات المادية بين بطلة الفرقة فاطمة والمخرج عزيز وانتهى الأمر بحل الفرقة واتفقا على اقتسام المناظر والملابس والديكورات الخاصة بالفرقة مناصفة.. وتم ذلك بحضور عدد من أصدقائهما الذين كانوا لا يستطيعون مقاومة دموعهم، حزنًا على هذه النهاية لواحدة من أعظم الفرق المسرحية في مصر والوطن العربي.

وأرادت فاطمة بعد انفصالها عن عزيز أن تثبت له أن النفقات الهائلة التي كان يتكلفها الديكور والمناظر الفخمة كانت هي السبب

الحقيقي للخسارة المستمرة؛ فقامت بتكوين فرقة جديدة ضمت عددًا من الممثلين غير البارزين في ذلك الوقت مثل السيد بدير، عبد المنعم مدبولي، محسن سرحان، نور الدمرداش، ماري منيب.. ولكن موجة الكساد كانت وراء حل هذه الفرقة التي لم تدم طويلًا.

وقد رأت الحكومة المصرية – في ذلك الوقت – أن الحل الوحيد لإنقاذ المسرح بعد انهيار كل الفرق المسرحية وخاصة فرقة «فاطمة رشدي» و"رمسيس" هو إنشاء فرقة حكومية تضم كل الممثلين وتدفع لهم رواتب ثابتة.. وعن هذه الفرقة تقول فاطمة رشدي: جاءني عزيز وقال لى: «اذكري يا فاطمة كفاح السنين الطويلة من أجل خلق المسرح المصري وجهادنا في فرقة رمسيس ثم في فرقتنا.. إن النهضة الفنية التي استطعنا تحقيقها بدأت تؤتي ثمارها وهذا ما جعل الدولة تشعر بأهمية الفن فأسرعت لإنقاذه فلا تتخلي عن المسرح ولا عن تاريخنا الطويل.. واذكري ما تحملناه سويًا من جوع وفقر ولا تضحي بكل هذا» تأثرت بشدة بكلام عزيز واشتركت في الفرقة الحكومية الجديدة والتي كان مديرها الشاعر خليل مطران ويتكون مجلس إدارتها من عزيز ويوسف وهبي وزكي طليمات.. ولكنني لم أستطع الاستمرار في ظل العمل الحكومي الذي يحدّ من قدرة الفنان على الإبداع الحقيقي في جو يسيطر عليه الروتين

والدسائس.. فتركت الفرقة وذهبت إلى أوروبا وبعد عودتي قابلت عزيز وأكد لي أنه هو الآخر لا يستطيع الاستمرار في هذا الجو الخانق والممتلئ بالأحقاد والغيرة والكراهية.. وكان عزيز في ذلك الوقت قد قام بإخراج رائعة ديستوفسكي «الجريمة والعقاب» وقد أبدع فيها بشكل غير مسبوق.. وصمم المسرح الدائري وجعله يتحرك على عجلات وقد تكلف ذلك أموالًا طائلة اتخذها البعض ذريعة لانتقاده وتدبير المؤامرات له بعد النجاح الكبير الذي حققته المسرحية وانتهى الأمر بأن ترك عزيز العمل بالفرقة القومية.

وتذكر سارة برنار الشرق أنه عقب خروج عزيز من الفرقة القومية ساءت حالته النفسية والصحية كثيرًا، فكيف يمكن لمثله أن يحيا بعيدًا عن عالمه الفني؟ فعرضت عليه تكوين فرقة جديدة صغيرة تقدم أعمالها في الإسكندرية في أحد الملاهي، وبالطبع وافق بسرعة.. وكنا نقدم مسرحية كوميدية من فصل واحد وبنهاية الموسم سافر عزيز إلى فلسطين لتسجيل عدد من المسلسلات الإذاعية لإذاعة الشرق الأدنى.

وعاد عزيز من فلسطين.. وقد ادخر مبلغ ٢٠٠ جنيهًا والتقى بفاطمة وأقنعها بضرورة البداية من جديد، وبالفعل استطاعا تكوين فرقة

صغيرة كانت تقدم أعمالها على مسرح الليدو بالجيزة وقدمت عددًا من الأعمال الناجحة مثل «ذات الشعور الذهب» و«المريض بالوهم» و«٦٧٧ زيتون» ولكن غارات الحرب وكساد أنشطة الحياة كان وراء الفشل المادي وضياع كل ما أدخره عزيز خلال عمله بإذاعة فلسطين.. وكان عزيز بدأ يدخل في دائرة الشيخوخة بكل عجزها، ولم يكن في إمكانه أن يتحمل ما كان يتحمله أيام زمان.. حتى أنني – والكلام على لسان فاطمة – كنت أقترض بضعة قروش أعطيها له حتى يستطيع أن يعود إلى المنزل إشفاقًا عليه من مشقة السير.. ورغم ذلك كان عناده لا نهاية له، فكان يضحك في سعادة، وكأنه يريد أن يغيظني قائلًا: «أنا لا يهمني المال.. المهم أن أخلص للفن"..

أما أنا فكنت أسير على قدميَّ مع بعض الزملاء من الجيزة حتى ميدان قصر النيل وغالبًا ما كان الزملاء يتركونني في منتصف الطريق لأسير وحدي في أوقات متأخرة من الليل والظلام يخيِّم على كل شيء.

ورغم أن عزيز كان يعاني من الحاجة الشديدة للمال وتمكن المرض منه إلا أنه رفض أن يقدم عملًا من فصل واحد في صالة الراقصة «ببا عز الدين» إلا بعد أن يرقى بمستوى فرقتها ويقدم برنامجًا استعراضيًا ضخمًا.. وهذا ما رفضته «ببا" خوفًا من التكاليف الباهظة..

في الوقت نفسه الذي كانت تعاني فيه فاطمة من الفقر لدرجة أنها وافقت على العمل في فيلم «العامل» من إخراج حسين صدقي دون أن تعرف دورها طمعًا في «العربون» لتحقيق رغبة أمها المريضة في شراء مقبرة.. حتى أنها بدأت تفكر في العودة مرة ثانية للفرقة القومية، بسبب حاجتها الشديدة للمال.

وكان أحد المسئولين عن هذه الفرقة قد طلب ذلك منها أكثر من مرة، لكنها كانت ترفض بشدة قائلة إن المسرح مثل الإنسان الجاحد يأخذ الكثير وينكر علينا أبسط حقوقنا.. وها هو عزيز يرقد مريضًا محتاجًا بعد أن أفنى عمره من أجل المسرح.

حقًا: المرأة تحب الرجل القوى المتسامح الطيب الذكي الذي يذكرها دائما أنها مرغوبة.. تقول فاطمة: كنت أحرص على زيارة عزيز أثناء مرضه، وكان دائما يقول لي: «لا داعي لأن نكره المسرح حبنا الكبير.. نعم لقد ضحينا من أجله بالكثير وهناك آخرون شاركونا هذا العشق.. أعرف أنهم رجال ولكن أنت أول امرأة كوَّنت فرقة مسرحية في الشرق.. لقد ضحيت بشبابك وحياتك".. وكنت أجيبه مداعبة: "أنت السبب يا عزيز شجعتني وساعدتني وجعلتني أحلم معك حلمًا كبيرًا.. يا ليتنا اكتفينا بفرقة صغيرة وروايات صغيرة.. لو كنا فعلنا ذلك

ما كنا وصلنا لهذه الحالة التي وصلنا إليها.. ودمعت عينا عزيز وقال: "صدقت يا فاطمة.. لقد كنت لا أعرف شيئًا سوى الفن.. لقد كنا ننفخ في «قربة مقطوعة».. لكنه قدرنا الذي اختارنا ولا يجب أن نندم للحظة واحدة ولا نطلب من أحد أن يفهمنا أو يرتفع لمستوى حلمنا.. فنحن نصنع ما يسعدنا نحن".

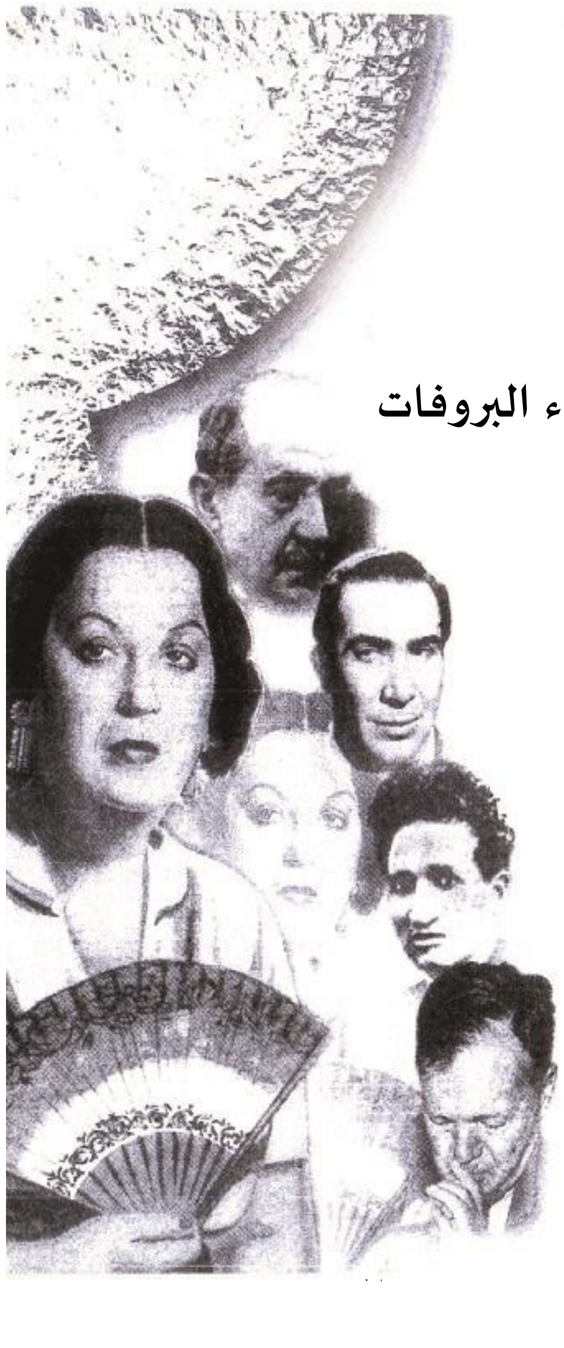
لقد كان عزيز يودع الحياة بنفس القوة والتحدي اللذين عاش بهما.. وفي اليوم التالي احضرت ابنتنا «عزيزة» والتي كنت أودعتها مدرسة الفرنسيسكان بالقسم الداخلي بعيدًا عن الحياة الصعبة التي أعيشها أنا وعزيز.. وعندما رآها قبَّلها في حنان بالغ وربت على يدي بيده الواهنة، وعيناه تتحدثان حديثًا أعرفه جيدًا فمازال هذا البريق القديم يلتمع، ومازال هذا العشق يبرق، ولكنه الموت، مات عزيز وانطفأ بريق عينيه لأول مرة.. وقد مزقني نبأ وفاته.. وكنت ساعتها أعمل في الفيلم الذي اشتريت من عربونه المقبرة التي دفنت فيها أمي وأسرعت لأكون مع عزيز، ونحن نواريه التراب في نفس المقبرة.

ورحل عزيز رائد المسرح، واحتشد في جنازته كل زملائه وتلاميذه وعشاق الفن.. وأسدل الستار على حياة الفتى الأول في حياة فاطمة التي وجدت نفسها واقفة على مفترق الطرق.. تتساءل ماذا تفعل؟

لكنها تجيب: لم تكن الحياة سهلة بعد رحيل عزيز الذي علَّمني كل شيء: الحب والصمود والسمو بجانب الرضا عن الذات الذي هو أهم ما يحتاج إليه الإنسان كي يحيا، وأن العشق هو أن نفنى من أجل من نعشق حتى يستمر هو في الحياة وليتنا نملك به الخلود.

ويرى المؤرخون في مجال الفن أن رحيل عزيز هو رحيل جزء من مجد وشهرة فاطمة رشدي أو كان بمثابة انقضاء الجزء الأكبر من الرواية وإن كانت هي نفسها لم تقل كلمة قاطعة عنه، فعندما تزوجته قالت إنها أحبته، وعندما انفصلا أعلنت أنها اتخذته وسيلة للصعود، وفي أواخر حياتها أكدت أنها لم تحب غيره في حياتها.

لكن الأحداث أكدت أن فاطمة فقدت بريقها برحيل عزيز، وبدأت رحلة الهبوط لتكتمل دراما حياتها بدون الفتى الأول الذي كان سببًا في إقبال الجماهير عليها.. لقد رحل مخرج حياة فاطمة وصانع نجوميتها، لتكتمل تراجيديا حياتها كما تشاء الظروف، وكأنها مجموعة من المواقف الارتجالية لا تخضع لمنطق أو رابط سوى «الغرابة» التي أصبحت هي السمة الرئيسية لكل تفاصيل حياتها بعد ذلك.. لقد رحل عزيز تاركًا للزمن مقعد الإخراج.



## ضربني عندما

## رآني ألعب أثناء البروفات

**يقول المثل السويسري: «إذا أردت أن يحبك الناس.. فابدأ ببذل المال والكرامة»**

**بمجرد ذكر اسم يوسف وهبي – فنان الشعب – يتبادر إلى الذهن الكثير من الإسهامات التي قدمها في مجال المسرح بحيث تجعله على قائمة جيل الرواد، فهو صاحب أول فرقة مسرحية بالمعنى الصحيح هي فرقة رمسيس التي تُعد بداية المسرح المصري الخاص ذي المستوي الراقي، فقد أرسى «وهبي» العديد من القواعد التي أضفت على شخصية الفنان كل الاحترام والتقدير، ولأن فرقة رمسيس كانت هي أولى محطات الانطلاق الحقيقي لفاطمة رشدي، فقد تحول «وهبي» بدوره إلى واحد من الرجال البارزين في حياتها.. منذ بداية عملها معه وحتى أصبحت ممثلة فرقة رمسيس الأولى وحتى بعد أن أسست فرقتها المستقلة.**

**وإذا كان «وهبي» هو صاحب المقولة الشهيرة «وما الدنيا إلا مسرح كبير» فإن مجرى الأحداث وتصاريف الأقدار تقول إن حياة فاطمة رشدي كانت جزءًا من هذا المسرح.. وقد أدى يوسف وهبي دوره كما رسمه القدر.. وقد استطاعت فاطمة تحقيق نصف مجدها**

المسرحي من خلال فرقة رمسيس، والنصف الآخر في رحلة التحدي التي أعلنتها ضد فرقة رمسيس وصاحبها يوسف وهبي.

وتؤكد الأحداث أن فاطمة لم تلتق أبدًا بوهبي قبل سفره لإيطاليا وإن كانت قد عرفت الكثير من جوانب شخصيته من خلال أحاديث عزيز عيد الكثيرة عنه، وعن رحلة كفاحه في إيطاليا لدراسة الفن، حيث قاسى فيها من الجوع والفقر ما لا يستطيع الكثير من الناس وهو ابن الباشا الذي نشأ منعمًا مرفهًا محاطًا بكل صور الغنى والثروة.. وقد رسمت أحاديث عزيز عيد عن يوسف وهبي صورة مبهرة في ذهن الفنانة الصغيرة.

تقول: عندما كان عزيد يحكي لي عن الصعوبات التي يلاقيها «وهبي» في أوروبا وكيف أنه يضطر إلى القيام بأعمال حرفية شاقة من أجل تحقيق حلمه بدراسة الفن والوقوف على التقدم الكبير الذي حققته أوروبا في هذا المجال كنت أصاب بالدهشة، ولا تزول هذه الدهشة إلا حينما أنظر إلى عزيز عيد فأعرف أن «وهبي» لا يختلف كثيرًا عنه، فكلاهما عاشق لهذا الشيء الذي لا يباليان من أجله بأي مشاق أو صعوبات.. بل هما على استعداد دائم للتضحية بكل شيء

من أجل هذا المعشوق الذي يأسر عقليهما ويسير حياتهما وكأنهما يسيران بلا عقل.

وعندما حضر يوسف وهبي إلى القاهرة عقب وفاة والده واتفق مع عزيز عيد على تحقيق حلمهما الكبير الذي طالما راودهما طوال السنين الطويلة معتمدين على الثروة الكبيرة التي ورثها «يوسف» أدركت أن هذا الشاب القادم من أوروبا حاملًا العلم والموهبة ويمتلك المال اللازم سوف يكون له شأن عظيم، وبدت فرقة رمسيس هي المولود الجديد الذي نحلم بأن يشب ويكبر.

تقول فاطمة: كان من الطبيعي أن أكون واحدة من الممثلين بفرقة رمسيس منذ البداية، وكنت قبلها ألقي المونولوجات الغنائية في الروايات الاستعراضية. وكم كانت البداية صعبة، وكم كان «يوسف» عظيمًا، وهو يضع أسس أول مسرح مصري؟! لقد استطاع أن يصنع المستحيل وأثبت كفاءة عالية في كل شيء حتى أنه استطاع أن يحول «الجراج» الذي تم استئجاره إلى «مسرح رمسيس» الشهير وقد كنت أشعر أنه من الصعب جدًا أن يتحول هذا المكان الخرب المقفر إلى مسرح يضج بالحياة.

وتضيف: كنت أقف أرقبه وهو يشبه الساحر، حيث يشير بإصبعه يتحول المكان إلى جزء من المسرح الذي يحلم به، وكان أثناء حركته تتحول الأرض تحت قدميه إلى مسرح. إن كل حركة من حركته تنم عن فنان عظيم تشعر أن عينيه تشعان فنًا وكأنه يكاد أن ينفجر لفرط الطاقة الفنية الهائلة التي تفور في هذا الجسد العملاق وتريد أن تخرج.. إن الثروة التي كان يملكها يوسف وهبي هيأت له القدرة على تحقيق ما يريد وإرساء قواعد المسرح.. لكن هذه الثروة وحدها لم تكن كافية لخلق الفنان.. فالمال يشتري المسرح أو يستأجره أو يصنع ديكورًا ضخمًا أو ملابس فاخرة.. ولكنه لا يستطيع أن يشتري فنانًا حقيقيًا.. لقد استطاعت موهبة «يوسف» أن تصنع جيلًا من المبدعين ما كانوا ليصلوا إلى هذه الدرجة دون أن يكون بينهم فنان موهوب مثل وهبي.

وحدث ليلة الافتتاح أن قدمت الفرقة رواية «المجنون» وحققت نجاحًا جعل الجميع يشيدون بها، وخرج الناس من المسرح يتحدثون عن هذا الفن الجديد، وعن الأبطال الكبار الذين يلعبون الأدوار الصغيرة، ويتفانون في الأداء تحدوهم الرغبة الصادقة في تقديم أحسن ما عندهم.

وتتذكر «فاطمة» هذا اليوم فتقول: كان دوري في «المجنون» صغيرًا.. ولكننى كنت أقف معظم الوقت في الكواليس أتفرج على هذا العملاق – وهبي – الذي استطاع أن يجذب انتباه المشاهدين بصوته الجهورى وأدائه الرائع.. حتى أنني كنت أرى الجماهير تجلس لا تصدر منها أى حركة والانفعالات التي يجسدها «المجنون» وهبي ترتسم على وجوههم ثم تعلو موجة من التصفيق الهادر عقب انتهائه من المشهد.. وكنت أشاهده بجميع حواسي، فقد كان يمثل وكأنه يصلي يعيش في الشخصية حالة من التواصل والعشق.. لقد تعلَّمت من «وهبي» في هذا اليوم كيف يمكن الممثل المسرحي أن يستخدم نبرات صوته في التعبير عن مضمون النص المكتوب.. أجل لقد علَّمني وعلَّم الكثيرين من أبناء جيلي أن الممثل لا يمثل حين يقف على خشبة المسرح، إنه يحيا حياة طبيعية تمامًا.. ينسى أن ما يؤديه هو قصة من خيال المؤلف.

واستمر «وهبي» يعلمنا قواعد التمثيل الحديث من خلال معايشتنا له على خشبة المسرح وأثناء البروفات وكانت تشاركه في البطولة في هذه الفترة العظيمة روزاليوسف التي حققت نجاحًا رائعًا حين لعبت دور «مرجريت» في «غادة الكاميليا» حتى إنهم أطلقوا

عليها سارة برنار الشرق لأن دور «مرجريت» هو أعظم أدوار «سارة برنار» والذي خلد ذكرها في فرنسا والعالم.

تقول سارة برنار الشرق: جاءت الفرصة لأقف أمام العظيم وهبي لأؤدى أدوار البطولة بعد انسحاب روزاليوسف واشتغالها بالصحافة، والفرق كبير أن تشاهد وهبي من وراء الكواليس أو تؤدي دورًا بسيطًا أمامه وبين أن تشاركه البطولة.. كان يصل اندماجه في الشخصية إلى درجة أنه ينسى تمامًا الحوار المكتوب، فنجده يتحدث بشكل مختلف عن البروفات التي تم التدريب عليها، وفي البداية كنت أشعر بالخوف الشديد لكنه ربت على كتفي وطمأنني قائلًا: "يا فاطمة لا تمثلي بل عيشي داخل الشخصية التي تقومين بها، وقتها فقط لا يهم ما يحدث من خلل في الحوار، سوف تجدين نفسك تتحدثين بلسان الشخصية وليس بلسانك أنت"..

كان «وهبي» حين يصل إلى قمة انفعاله.. تجحظ عيناه بشكل مخيف.. وقد كنت خائفة بطبعي، خاصة أنه من قبل ضربني بشدة حين وجدني ألعب «نط الحبل» خلال إحدى البروفات، فكيف أقف أمامه لأؤدي البطولة بدلًا من الفنانة الكبيرة روزاليوسف والتي تتمتع بحب جماهيرية كبيرة من الجمهور والنقاد على السواء، كما أن صداقتها

للعديد من الصحفيين والنقاد كانت تزيد من حيرتي وخوفي.. لكن الفنان الحقيقي هو الذي يشعر بالآخرين، لقد كان «وهبي» الكبير جدًا يقف معي قبل الدخول إلى المسرح، ليراجع معي دوري، ويرشدني إلى شكل الانفعال الصوتي والحركي في كل مشهد، ونجحت في تقديم دور غادة الكاميليا، وصفق الجمهور كثيرًا لهذه الممثلة الصغيرة التي استطاعت أن تؤدي دورها بنجاح لا يقل عن نجاح روزاليوسف، وكما أخذت دور روزاليوسف أخذت أيضا لقبها «سارة برنار الشرق» وإن كان قد ظل ملتصقًا بي طوال فترة عملي بالفن.. ثم قدمت «توسكا» و«النسر الصغير» و«أولاد الفقراء»، وقد ضايق هذا بعض الممثلات الآخريات، فبدأن في الدس والوقيعة بيني وبين «وهبي» عندما حاولت زينات صدقي التشويش عليَّ وقت أن كنت أؤدي دوري في مسرحية «النسر الصغير».

وعندما لجأت فاطمة إلى يوسف وهبي في حالة ثورة شديدة حاول أن يعالج المشكلة بطريقته الهادئة دون أن ينصر طرفًا على حساب الآخر، وكانت هذه عادته في علاج المشاكل، وألقى اللوم على كل من فاطمة وزينات صدقي.. ولكن الأولى لم تقنع بذلك وقررت الانسحاب من الفرقة.

حقًا: لا يمكن أن تحب المرأة الرجل الساخر الذكي، لأنه يخضع في العادة لسلطان عقله أكثر مما يخضع لحكم عواطفه.. وهو كالفيلسوف إما أن ينظر إلى المرأة نظرة حسية غايتها التأمل والدرس. فهو في كلتا الحالتين آخر من تخدعه العواطف.. وآخر من يخدع بألاعيب المرأة، روحها الأولى التي حققت بها النجاح..

وبدأ يجتمع حول يوسف بعض الطفيليين المتملقين لصاحب المال.. كل منهم يرغب أن يحظى بالرضاء، كما أن «وهبي» قد بدأ يعاني من الديكتاتورية والتسلط– والكلام لفاطمة رشدي – فلا يسمع لرأي أحد.. بل وأصبح يختار من المسرحيات التي ينفرد بها بالبطولة التامة، فيصبح جميع الممثلين مثل قطع الشطرنج التي يحركها «وهبي» حسب إرادته.. وهذا غير السياسة الجديدة التي ابتدعها وهي «النزول إلى الجمهور» ولم يكن النزول تبسيط الفكر كما هو معتقد بل كان التخلي عن الأعمال ذات المستوى العالي، واللجوء إلى اللغة العامية التي لم تكن تحتاج إلى جهد كبير في التدريب.. وهذا ما كان يضايق عزيز عيد كثيرًا الذي كان يعشق الأداء بالفصحى، ويبحث دائمًا عن الأعمال العالمية الكبيرة التي تحقق رسالة الفن وترتفع بذوق الجمهور.. لكن «رُبَّ ضارة نافعة» فخلافي أنا وعزيز عيد مع وهبي رغم ما سببه لنا جميعًا من آلام وانكسار للحلم الكبير الذي انتظرناه

طويلًا .. إلا أنه أفاد المسرح المصري بشكل لم يكن ليحدث لو استمر عملنا في فرقة رمسيس ولم يحدث هذا الخلاف.. فقد خرجت أحمل كل ما علَّمه لي وهبي وأحفظه جيدًا وأحمل كمًا مماثلاً من التحدي، جزء كبير منه أخذته من الإرادة القوية لوهبي.. وآخر ناتج عن رغبتي في الثأر لكرامتي كفنانة.. وقد كوَّنت فرقتي قريبة من فرقة وهبي حتى يشعر بالنجاح الذي سوف نحققه والذي كنت على يقين كامل به، واشتعلت المنافسة بين عشاق المسرح ورفاق الحلم.. لكنها أبدًا لم تخرج عن نطاق منافسة الشرفاء فقد كان وهبي شريفًا حتى في خصومته وقد تعلمنا جميعًا منه كيف نرتفع بأخلاقنا فوق خلافاتنا الخاصة، وقد أسفرت هذه المنافسة عن خلق جيل واع من الفنانين والجمهور والنقاد دفع بالحركة المسرحية خطوات واسعة إلى الطريق الصحيح.

وتؤكد فاطمة أنها لا تستطيع أن تنسى ولا يستطيع غيرها من الممثلين الذين بدأوا حياتهم في كواليس فرقة رمسيس فضل الأستاذ وهبي عليهم وعلى المسرح العربي.. فهو الذي دفعنا ودفع الفن العربي إلى الأمام.

وأنه لابد من تخليد اسم وهبي وعمل جائزة باسمه لأفضل الأعمال المسرحية اعترافًا بدوره في الارتقاء بالفن المسرحي.. ودفع من ماله وشبابه للمسرح ما جعله فنًا جادًا بشع حيوية واحترامًا، وأعطى للفنان قيمته وتقديره، ولن أنسى أبدًا أنني مدينة له بالكثير بعد أن أفسح لى المجال في مسرحه ووثق بي وكان عمري لم يتجاوز ١٥ ربيعًا وشملني برعايته وتشجيعه طوال السنوات التي لعبت فيها دور البطولة أمامه على خشبة مسرح رمسيس.

أما يوسف وهبي نفسه فقد قال عن فاطمة رشدي: "بينما كنت منهمكًا في تكوين فرقة رمسيس جاءني الفنان الكبير عزيز عيد بفتاة في عمر الزهور وقال باسمًا: هذه الصغيرة «مونولوجست» ومن أسرة كلها فنانات وقد شاهدتها وهي تلقي بعض المونولوجات بثقة تؤهلها للعمل في المسرح بشكل رائع.. وقد بهرني جمال الفتاة وأخذت بتقاطيعها العربية الخالصة ورغم صغر سنها فهي ذات قوام أبدعت الطبيعة في تكوينه وتنسيقه.. كما أن لها عينين تخفيان وراء سذاجتهما أنوثة متدفقة وذكاءً حادًا.. ولم أستطع أن أخفي فرحتي بهذه الفتاة المصرية رائعة الجمال والمظهر، خاصة أنني كنت أحلم بتكوين جيل من الفنانات المصرية، وقد كان المسرح في مصر يفتقد إلى العناصر النسائية المصرية.. منذ أول يوم لها في مسرح رمسيس آمنت

بموهبتها، وعرفت أنها تملك الكثير من المواهب ورغم صغر أدوارها التي فرضها عمرها الصغير، إلا أنها كانت تحظى بكل الإعجاب من الجميع وبدأت تقفز الدرجات إلى القمة التي وصلتها في دور غادة الكاميليا، بعد انسحاب روزاليوسف رغم الحملة التي شنها الصحفيون من أصدقاء روزاليوسف إلا أن الجمهور استمر في التصفيق والهتاف لسارة برنار الشرق، واستمر نجاحها من عمل إلى آخر حتى استقلت في فرقتها.. ولكن ظلت فاطمة واحدة من أعظم ممثلات المسرح في تاريخه وهي بكل تأكيد فنانة العصر وأفخر ويفخر مسرح رمسيس أنها كانت من أوائل المؤسسين له"

والجدير بنا أن نذكره أن فاطمة التقت مع يوسف وهبي ممثلًا في فيلمين الأول «الطريق المستقيم» عام ١٩٤٤ من إخراج توجو مزراحي وشارك فيه أمينة رزق وسلوى علام ومنسَّى فهمي وبشارة واكيم وعبد المجيد شكري وفردوس محمد، أما الفيلم الثاني فكان «بنات الريف» الذي قام يوسف وهبي بتمثيله وإخراجه عن إحدى المسرحيات المعروفة.



# سيد درويش..

# عشرة جنيهات كانت البداية

ربما تبدو للوهلة الأولى غرابة أن يكون لهذا الرجل الذي ملأ الأسماع بموسيقاه الخالدة أى دور على مسرح حياة فاطمة رشدي، ففنان الشعب سيد درويش –كما هو معروف – واحد من أبرز رواد الموسيقى العربية الذي أثروا في مسيرة الغناء العربي بفاعلية.. ويتبادر إلى الذهن سؤال عن علاقة فاطمة رشدي – ممثلة المسرح الدرامي الشهيرة – بالموسيقى؟

إن الحياة تحوي أحداثها ما قد يفوق خيال أروع المؤلفين.. لقد ساق القدر سيد درويش إلى طريق «فاطمة» لتبدأ رحلتها الطويلة.. إنه المكتشف الأول لموهبتها.. ورغم صغر حجم الدور الذي أداه هذا الرجل على مسرح حياتها، إلا أنه كان مثل الذي أشعل الفتيل، لتتوالى الانفجارات.. أو ضغط على مفتاح الإضاءة، لتبدأ حياتها في عالم الفن.

تقول: كان لقائي الأول بالشيخ سيد درويش مجرد صدفة، فقد كانت أختي «أنصاف» تعمل في أحد مسارح الإسكندرية، وكنت أذهب معها أنا وأمي إلى المسرح ولا نغادره حتى تنتهي من عملها، لنعود جميعًا إلى المنزل.. وكان عمري وقتها لا يتعدى أحد عشر عامًا.. وزار الشيخ سيد المسرح الذي كانت أختي تعمل به وغيره من

مسارح الإسكندرية، للبحث عن فتيات للعمل ضمن «الكورس» في رواية «العشرة الطيبة» التي تقدم على مسرح الكازينو دى باري في القاهرة «سينما مصر حاليًا» وقد كانت هذه الرواية من تأليف الأديب الكبير محمد تيمور ووضع ألحانها الشيخ سيد والإخراج لعزيز عيد.

وكان صاحب المسرح الذي تعمل فيه أختي يسمح لي بأداء بعض أغاني الشيخ سيد الخفيفة مثل «طلعت ياما أحلى نورها» وشاهدني الشيخ سيد وأنا أغني هذه الأغنية في «الصالة» وتبعني إلى الكواليس، وحيا والدتي وأختي أنصاف وأعرب لهما عن إعجابه الشديد بي، ثم أخذني من يدي إلى أحد البائعين خارج المسرح واشترى لي شيكولاتة وحلوى بمبلغ كبير جدًا.. ثم أخذ الشيخ سيد يحاول إقناع والدتي بضرورة سفرنا إلى القاهرة على أن تعمل أنصاف في كورس «العشرة الطيبة» وأظهر أنا على المسرح بين الفصول لأداء بعض الأغنيات والمونولوجات الخفيفة، وإذا أمكن عهد إليّ بأداء أدوار الأطفال.. وترددت أمي كثيرًا، فهي لم تغادر الإسكندرية أبدًا ولا تعرف شيئًا عن القاهرة وليس لنا أقارب بها نقيم في ضيافتهم لحين تدبير أمورنا.. كما أن السفر إلى القاهرة يتطلب نفقات لم نكن نقدر عليها في هذه الفترة.. كما أن أجري وأجر أختي لا يكاد يكفي حاجتنا الضرورية.

وفطن الشيخ سيد إلى سبب تردد أمي، فأخرج من جيبه ورقة فئة عشرة جنيهات ودسها في يدها قائلًا: هذه حاجة بسيطة مؤقتًا وعندما تحضرا إلى مصر سوف تجدين كل شيء يسرك بإذن الله.. وأكد على ضرورة سفرنا إلى القاهرة وأعطانا عنوانه على مسرح «كشكش« بعماد الدين قائلًا: "العنوان سهل واسألوا عنه، وسوف تجدون من يدلكم عليه".. واطمأنت أمي على جدية هذا الرجل بمجرد أن أمسكت العشرة جنيهات في يدها ووعدته بالتنفيذ بعد انتهاء عملنا في مسرح «عطا الله» وكنا نعمل فيه وقتها.

وتقول فاطمة: إننى مدينة لاثنين من أعلام الموسيقى والمسرح هما الشيخ سيد درويش الذي كان سببًا في انتقالي من الإسكندرية إلى القاهرة، والمؤلف المسرحي محمد تيمور الذي فتح لي الطريق لأتحول من مجرد مونولوجست ومطربة طقاطيق إلى ممثلة مسرح.. ولم يكن انتقال فاطمة وعائلتها من الإسكندرية إلى القاهرة بالأمر السهل لولا العشرة جنيهات التي دفعها الشيخ سيد لهذه العائلة.

وتضيف «فاطمة» رحلنا إلى القاهرة ليلًا في جنح الظلام حتى نصل في الصباح، وكانت تجربة جديدة ومثيرة بالنسبة لي، فهذه أول

مرة أركب فيها القطار وظللت متيقظة طوال الطريق أراقب القرى الغارقة في الظلام، ويخيل إليّ أنها مليئة بالأشباح ولا أعرف المصير الذي سوف نواجهه عندما تشرق الشمس علينا ونحن في مدينة كبيرة مثل القاهرة.. ووصل بنا القطار في آخر ساعات الليل، فتوجهت أمي بنا إلى أحد فنادق الحسين المتواضعة التي يقصدها أهل الريف عندما يأتون لزيارة آل البيت.. ولم أستطع النوم لحظة واحدة وكذلك أختي وأمي التي كانت تحاول عمل ميزانية لمصروفاتنا ونحن نشعر بشيء من الخوف والقلق من هذه التجربة.. وعندما بدأت تباشير الصباح في الظهور توجهنا لمقابلة الشيخ سيد في العنوان الذي أعطاه لنا.. وكانت المفاجأة لقد وجدنا المسرح مغلقًا وأُسقط في أيدينا ماذا نفعل بعد أن علمنا أن الفرقة التي كانت تمثل «العشرة الطيبة» قد رحلت.. ومرت بنا لحظات قليلة ونحن واقفون أمام المسرح المغلق كل منا يتحاشى النظر في عيون الآخرين حتى إنني تخيلت أن هذه اللحظات هي أيام طويلة لن تنتهي.. ولكن أولاد الحلال أخبرونا عن الأماكن التي يحتمل أن يوجد فيها «الشيخ سيد» وبعد تكرار السؤال في بعض هذه الأماكن علمنا أن الشيخ موجود في مسرح الريحاني لعمل بعض البروفات، وتوجهنا إلى هناك ولم نجده وتلقانا نجيب الريحاني بابتسامة طيبة وعرف قصتنا، فطمأننا، وقال ليست هناك مشاكل بإذن

الله، واتفق مع والدتي على أن أعمل أنا وأختي ضمن «الكومبارس» بأجر عشرة جنيهات وفرحت أمي كثيرًا، لأن اليأس كان قد بدأ يتسرب إلى نفوسنا.. بعد فشلنا في العثور على الشيخ سيد.. واستمر عملنا مع فرقة نجيب الريحاني لمدة شهرين أو ثلاثة، ثم قرر الاستغناء عنا لصغر سننا.

وأرشدهن الريحاني إلى فرقة تحتاجهن وتعمل في بورسعيد، وشددن الرحال إلى هناك.. وكانت الصدفة، فلم تكن فرقة مسرحية، لقد كانت فرقة سيرك.. ورغم الصدمة لم يكن أمامهن إلا قبول العمل فيها، غير أن التجربة كلها باءت بالفشل، لأن الجمهور لم يحسن استقبالهن.. تحكى فاطمة ما حدث: في الليلة الأولى يوم وصولنا وقفنا في حلقة السيرك والجمهور من حولنا.. وعن يمينا وشمالنا.. ومن أمامنا وخلفنا، وشرعنا نغني فأسمعنا المتفرجين الذين في مواجهتنا، والقريبين من حولنا، ولكن الذين من خلفنا لم يسمعوا شيئًا، وصاحوا بنا: شفنا إيه من وشكم، عشان تدونا ظهركم، فلم نر بدًا من اللف والدوران في الحلقة لنرضي الجميع وبعد دورتين وجدنا أنفسنا غارقين في موجة من الضحك لم نقو على مقاومتها، وتاهت الكلمات وسقطنا على الأرض من شدة الضحك من هذه المهزلة، وضج المتفرجون بعضهم يضحك منا وبعضهم يصيح ساخطًا علينا، وحدث هرج

شديد.. لم يجد معه صاحب السيرك إلا أن يرسل إلينا مصارعًا ضخمًا، ليلتقطني من الأرض بيمناه، ويلتقط أختي بيسراه.. وأسرع بنا إلى الطريق فألقانا في عرضه.

هكذا انتهت التجربة المريرة، ولم يكن أمام الأم وابنتيها إلا العودة إلى القاهرة في الليلة نفسها، وكان من الضروري البحث عن مصدر للرزق.

تقول فاطمة «لم يكن مجال العمل «كومبارس» ضيقًا في ذلك الوقت، خاصة للفتيات اللاتي يتمتعن بقدر من الجمال وحُسن الصوت، حيث إن القاهرة كانت زاخرة بالعديد من المسارح الاستعراضية والكباريهات.

ولا يمكن إنكار دور هذه المسارح وأماكن اللهو في أنها العامل الأول في تمكين سيد درويش من إبداع موسيقاه ونجاحه في تطوير الغناء.. وكان استغناء الريحاني عني سببًا في تقدمي إلى عالم الفن بشكل كبير حقق لى الكثير من الشهرة والانتشار.. فقد ألحقني يوسف عز الدين بمسرحه كمطربة أغني «الطقاطيق» وقد حققت في هذا المجال نجاحًا لا أعرف سره حتى الآن.. هل كان بسبب جمالي وحسن تقاطيع الوجه والجسد؟! أم بسبب صوتي وإبداعي في الإلقاء؟

أم أن معنى هذه الأغنيات وتلحينها كان وراء هذا النجاح؟! خاصة أن بعض هذه الأغنيات كانت تمجد المصريين وتنمي الإحساس بالانتماء للوطن، وقد لاقت صدى في نفوس الجماهير بعد حالة الوعي الوطني الذي أيقظته ثورة ١٩١٩ واستمر بعدها لفترة غير قصيرة حتى أن كل الأغاني والمنولوجات كانت دعاية لمصر وتحريضًا على كفاح الاستعمار.

وإن سيد درويش كان من طليعة مدرسة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الموسيقى التي نسمعها، وعلى حد تعبير الأستاذ عباس أن فضل سيد درويش يكمن في أنه أدخل عنصر الحياة والبساطة في التلحين والغناء بعد أن كان هذا الفن مثقلًا لجميع إخوانه من الفنون الأخرى بأوتار من أسجاعه وتقاليده وبديعياته وجناساته التي لا صلة بينها وبين الحياة.

وسيد درويش من مواليد الإسكندرية عام ١٨٩٢وقد التحق بالكتاب وعمره خمس سنوات، وقام بقراءة القرآن في المساجد لتحقيق بعض الدخل المادي.. بينما والده يمتلك حانوتًا صغيرًا بنفس الحي.. وفي عام ١٨٩٩ توفي والده ثم غادر «سيد» الكتاب إلى مدرسة حي رأس التين، ثم التحق بالفرقة الأولى بالمعهد الديني وكان

مقر فرقته مسجد أبي العباس وذلك في عام ١٩٠٥.. وبدأ اتجاهه للفن يدفعه للإنشاد في الحفلات والأفراح والموالد في حي كوم الدكة – مسقط رأسه – وكان ذلك لا يرضي والدته لانشغاله بتلك الحفلات وفشله نهائيًا بالمعهد.. ولما أثقلت الحاجة كاهله، خاصة بعد أن تزوج ولم يتجاوز عمره السابعة عشر، اضطر أن يعمل عامل بناء، وكان غناؤه مصدر سعادة العمال حتى أن المشرف على العمل اتفق معه أن يغني للعمال فقط، ولا يعمل بيده، وذات يوم سمعه الشقيقان سليم، وعطا الله وكانا من أصحاب الفرق في ذلك الوقت، وفوجئا عندما عرفا أنه هو الذي يضع الألحان لأغانيه واتفقا معه على العمل بفرقتهما في رحلتهما للشام وكان وقتها عمره لا يتعدى الثالثة والعشرين.. وردد الناس أغانيه وألحانه، لارتباطه بمشاعر الشرائح والمهن البسيطة في المجتمع ومعاناتها..

ولمس الشيخ سلامة حجازي موهبة سيد درويش فاصطحبه معه إلى القاهرة عام ١٩١٧ وقدمه بين فصول أوبريته «أغنية الأندلس» ولم يحسن الجمهور استقباله وبكى «سيد» وهو يواجه الفشل.

سكن سيد إحدى حارات منطقة شبرا، وقد بدأ يتردد اسمه – وقتها –كلمحن صاحب اتجاه جديد في التلحين، وكانت توجد في

القاهرة عدة فرق تمثيلية تقدم ألوانًا هزلية مطعمة بأغان موزونة وألحان بسيطة يونانية أو تركية، وبعضها يقدم مسرحيات كوميدية وتراجيدية.. وكانت فرقة جورج أبيض تقدم أعمالاً تراجيدية ثم تحولت إلى فرقة كوميدية بعد أن طلب جورج أبيض من سيد درويش تلحين أول أوبريت بعنوان «فيروز شاه» وبعد نجاحه ردد الناس ألحان سيد درويش والتي كانت شيئًا جديدًا على الموسيقى العربية، ولما استمع نجيب الريحاني إلى أغنيات الملحن الجديد أسرع بالتعاقد معه ليلحن له أوبريتاته.. وألف له لحن ثاني أوبريت بعنوان «ولو» ثم أصبحت كل فرق القاهرة تقدم أعمالها من ألحان سيد درويش، ولكنه غضب من استغلال أصحاب هذه الفرق له؛ فكوَّن فرقته الخاصة، والتي تحمل اسمه، وقدم فيها روايتين هما «شهرزاد» و«الباروكة» وكان يلعب بنفسه دور الفتى الأول.

وكان سيد درويش شديد الإعجاب بصوت أم كلثوم وهي تشدو بالقصائد والمدائح الدينية، فأرسل صديقه «يونس القاضي» إلى طماي الزهايرة – إحدى قرى محافظة المنصورة – وعرض على والدها الشيخ إبراهيم أن يتعهدها الشيخ سيد بألحانه، ولكن الأب رفض العرض وقتها.. مؤكدًا أنه لا يقبل أن تغني ابنته أغاني من هذا النوع.. ولكن السيدة أم كلثوم اعترفت قائلة: «إنني لم أكن أعي في ذلك الوقت

قيمة وقدر سيد درويش لصغر سني، ولكني بعد رحيله بسنوات قلائل أدركت مدى عبقرية ألحانه.. الأمر الذي جعلني أحفظ الكثير منها.. بل وغنيت بعضها في عدد من الحفلات الخاصة التي كانت تجمع بين لفيف من أهل الفن والأدب".

وتؤكد فاطمة رشدي أن سيد درويش هو أول من عرف قيمة الفن ودوره في تحقيق الآمال الوطنية في ذلك الوقت، فكانت ألحانه خاصة ما نظمه بديع خيري وبيرم التونسي بداية الصحوة في توظيف الفن لخدمة قضايا الوطن.. وتؤكد ذلك بقولها وكنت معجبة جدًا بشجاعة سيد درويش في هذا المجال، لذلك حاولت أن أقوم بدوري في ثورة ١٩١٩ برغم عدم وعيي بما يدور حولي، ولكن رغبة في تقليد هذا الفنان الكبير الذي رفض أن ينفصل عن واقع وأحلام أمته وتحمل في سبيل ذلك الكثير من المعاناة.. لكن هذه المعاناة لم تذهب هباءً بل كان من ثمارها جيل كامل من الذين تفاعلوا مع مشاكل أوطانهم ورغم قلة لقاءاتي بالشيخ سيد بعدها إلا أنني كنت أزداد إعجابًا به من خلال حكايات عزيز عيد عنه كانا يعملان معًا في أوبريت «العشرة الطيبة» ثم أوبريت «شهر زاد» و«فيروز شاه» وكان عزيز يقول لم يكن سيد درويش إنساناً عاديًا بل هو إحدى فلتات العصر يقضي الليلة كله

يضـع ألحـان الأوبريـت التـي كانـت أهـم أسـباب نجاحـه لدرجـة أن أصحاب المسارح الأخرى بدأوا يعانون من قلة عدد الجماهير التي تتردد على مسارحهم، ولعل هذا السبب أيضًا هو الذي دفع الريحاني إلى تقليل حجم المصروفات الخاصة بالأوبريت ثم إغلاقه الكامل للمسرح وكان هو «الممول» خوفًا من انخفاض شعبية كشكش بيه «الفرقة التي تبيض له ذهبًا».. ولم يكن سيد درويش بعيدًا عن فهم طبيعة موسيقى المسرح.. بل كان يعرف جيدًا كيف يوظف الموسيقى لخدمة الجو النفسي الذي ينطلق منه الموقف بعيدًا عن الطريق الذي لا يتناسب مع طبيعة الأداء المسرحي.

كان سيد درويش يتمنى السفر إلى إيطاليا لدراسة الموسيقى.. لكن القدر لم يسعفه فرحل في ١٩٢٣ ولكنني –كما تقول فاطمة– قمت ببطولة «مصرع كليوباترا» والتي كان قد وضع ألحان الفصل الأول منها وأكمل محمد عبد الوهاب بقية الألحان.. لكنني أحمد الله أن كان لي شرف أن ألتقي هذا العظيم الذي كان أول من اكتشفني وكان سببًا في حضوري إلى القاهرة لأصبح واحدة من أكبر ممثلات المسرح في مصر، ثم تعلمت منه معنى أن الفن لابد أن يعبِّر عن قضايا وأحلام الجماهير. بل لا يجب إنكار أن سيد درويش هو واحد

**ممن خلقوا الوعي القومي وأجج بألحانه نيران الغضب في قلوب المصريين والعرب، وحثهم على مقاومة الاستعمار.**



**أحمد شوقي**

**نظم مجنون ليلى وفاطمة بجواره**

أمير الشعراء أحمد شوقي يُعد واحدًا من الذين ساهموا في صنع مجد الفنانة فاطمة رشدي من خلال روائعه الشعرية التي قامت بتمثيلها على خشبة المسرح.. كان «شوقي» مغرمًا بأدائها حتى أنه كان يحرص على مشاهدة كل أعمالها، ويشهد بعض المقربين منه أنه كان يهز رأسه طربًا وسعادة مع كل مشهد تبرع في تقديمه.. وأمير الشعراء بخياله الخصب الواسع وتمكنه الكبير من بحور الشعر ومعرفته الواسعة بسحر اللغة وآدابها كان واثقًا وهو يقترب من بحور الفن من أنه لن يغرق فيها.. حيث فضَّل أن يرتشف منها ما يطفئ لهيب الخيال وعطش المشتاق.. وكانت أبيات شوقي الشعرية هي أهم القواعد التي ارتكز عليها تاريخ فاطمة رشدي الفني وعلامات بارزة في أعمال المسرح العربي، حيث ينظر إليها المؤرخون والأدباء على أنها كانت أول ميلاد للمسرح الشعري العربي.. وأصبح شوقي بذلك واحدًا من أهم الشخصيات ذات الدور الذي لا يُنكر من ناحية التأثير في حياة الفنانة الكبيرة التي تقول: لم أكن أعرف أمير الشعراء من قبل، ولكن ذات ليلة كنت أقدم مسرحية «يوليوس قيصر» وأثناء الرحلة بين الفصول طرق عزيز عيد باب مقصورتي ودخل وبصحبته رجلان، أحمد شوقي كان أحدهما والآخر يدعى «سمارت» ويعمل بسفارة بريطانيا، وقد أبدى كل منهما إعجابه بفني وتقديرهما لى وجلسا معي بعض الوقت،

عندما حان موعد الفصل التالي من المسرحية استأذنا موعدين، وقال لى شوقي وهو يصافحني: "أنتِ ممثلة عظيمة وسوف أقدم لك هدية لا يستحقها غيرك".

وأحسست بسعادة كبيرة – والحديث لفاطمة – لمجرد إعجابه بي كفنانة، فشوقي أكبر شاعر عرفه الوطن العربي في تاريخه الحديث والمعاصر، اسمه له صدى كبير في الدول الأوروبية من خلال ما ترجم له من أعمال وما يكتب النقاد عنه.. وأصبحت ملتهبة على هذه الهدية التي لا يستحقها غيري.. وحاولت أن أخمن ما هي؟ ولكننى عجزت عن ذلك، بسبب عدم معرفتي بطبيعة شوقي وطبيعة الشعراء.. ولم تتأخر هدية شوقي عني كثيرًا، وكانت هدية عظيمة لعلها أعظم ما قُدم إليَّ من هدايا.. إنها مسرحية «مصرع كليوباترا» أول مسرحية شعرية في تاريخ المسرح العربي وكانت المسرحية حدثًا تاريخًا بالنسبة لي. ومثلت دور «كليوباترا» أحد الأدوار الخالدة في حياتي وقام محمد عبدالوهاب بدور «أنطونيو» وكان شوقي قد جاء إليّ به ورشحه للقيام بالدور أمامي، وغنى عبد الوهاب لحنه الخالد "أنا أنطونيو" وقد تم عرض المسرحية في الأوبرا، وحققت نجاحًا ساحقًا بالرغم من خوف البعض من صعوبة الأداء الشعري وعدم تفهم الكثير من الجمهور

للمعاني الصعبة في شعر شوقي الذي كان سعيدًا جدًا بنجاح مسرحيته الشعرية الأولى وحضر إليَّ وهو في قمة نشوته وقال لي:

– لابد أن أكافئك يا فاطمة «يا كليوباترا» فماذا تطلبين؟

– فقلت له: عدني بألا ترفض أي طلب أطلبه منك مهما كان صعبًا أو غاليًا.

– فقال: أعدك بذلك.

– إذن أريد مسرحية شعرية أخرى في نفس مستوى «مصرع كليوباترا».

فضحك أمير الشعراء وقال: أنا موافق بشرط.

– ما هو؟

– أن تكوني إلى جانبي وأنا أنظمها.

– حاضر.

وبدأ شوقي في نظم عبقريته الشعرية الثانية للمسرح وهي «مجنون ليلى» وفاطمة تلازمه.. وتحكي عن ذلك بقولها: كنا نجلس

في عش أمير الشعراء الجميل المطل على النيل –كرمة ابن هانئ– ومعنا محمد عبد الوهاب يغني لشوقي وأنا إلى جانبه وهو يربت على كتفي في حنان حتى يروح في غيبوبة الوحي ثم يفيق فينكب على الورق الذي أمامه، فيكتب جزءًا من المسرحية الجديدة وإن لم يجد ورقًا كان يسرع بالكتابة على أكمام قميصه الأبيض.

وتضيف فاطمة: عشت بجوار «شوقي» فترة ميلاد «مجنون ليلى» لحظة بلحظة، وعرفت كم هو صعب أن يرضى شاعر مثل شوقي عن أى كلمة يكتبها، وما هو شعوره إذا وصل إلى مرحلة الرضا.. كان يشبه الأطفال الحائرين الذين يبحثون عن شيء، زائغ النظر تشعر بأنفاسه تضطرب داخل صدره حتى إن ملامحه تبدو أكثر جهامة، فإذا كتب شيئًا ينظر إليه من بعيد وكأنه فنان ينظر إلى لوحة يريد أن يختبر أصالتها وجمالها، وكثيرًا ما مزق ما كتب أو عاد وعدل في أجزاء تمت كتابتها فإذا انتهى من الكتابة عاد وديعًا هادئًا وانبسطت ملامحه.. وكأنه مسافر قد وصل إلى نهاية مطافه بعد رحلة طويلة مرهقة.

وانتهى شوقي من «مجنون ليلى» وفاطمة تشاهدها، وهي تتجسد بيتًا بيتًا.. بل كانت تخيل كيف يتم التعبير عن هذه المشاعر التي شاهدتها وأحستها خلال الكتابة. ثم بدأت البروفات، واستمرت

أربعة أشهر وأفرغ عزيز عيد كل عبقريته في الإخراج حتى أنه استطاع أن يحوِّل المسرح إلى صحراء.. وأديت دور ليلى، ومثَّل دور «المجنون» الفنان أحمد علام.. وتعلِّق فاطمة على «مجنون ليلى» بقولها: لقد فاق نجاح المسرحية الحد الذي كنا نحلم به وهو أن يكون بنفس درجة «مصرع كليوباترا» ورغم هذا النجاح رفض شوقي أن يتقاضى أى أجر مقابل المسرحيتين وأصر على اعتبارهما «هدية» لي.. وأغرى النجاح الذي حققته «مصرع كليوباترا» و«مجنون ليلى» يوسف وهبي بأن يحاول إقناع شوقي بالكتابة لفرقة رمسيس، واستغل وهبي إحدى شطحات عزيز عيد، الذي أصر أن يقوم بدور المجنون بدل أحمد علام وعلِم «شوقي» وهدد بسحب الرواية إذا فعل عزيز ذلك غير أن الأخير أصر على ذلك واستمر في أداء دور المجنون أربعة أيام ولم يلاق أي نجاح جماهيري.

فالدور كان لا يناسب فنانًا في سن عزيز بقدر اعتماده على عنصر الشباب خاصة أن «علام» كان يستخدم مجموعة من الشباب في التشويش على عزيز كلما ظهر على المسرح وأصيب عزيز بانهيار ولزم الفراش، ورفض علام العودة لتمثيل «المجنون».. وأمام ذلك اضطررت إلى القيام بدور المجنون، وأسند دور «ليلى» إلى الفنانة زينات صدقي وبقيت أمثل دور المجنون فترة من الوقت حتى استطعت

إقناع علام بالعودة.. وكان لنجاحي في دور المجنون أكبر الأثر في إقدامي على تقديم بعض الشخصيات الرجالية فيما بعد.

ولكن ما حدث أغضب شوقي، ووجد يوسف وهبي الفرصة سانحة لإقناع شوقي بالكتابة لفرقته، ونجح بالفعل فيما أراد، فألف له «قمبيز» ولكنها لم تصادف نجاحًا، ورغم ذلك ألف له «عنترة» ولم تكن أحسن حظًا من سابقتها.. فأقسم شوقي بعدها ألا يكتب مسرحية بعد ذلك إلا لفرقتي، ولم تمض بضعة أشهر حتى وجدته يحضر إليّ ويقول بلا مقدمات هذه هي هديتي الثالثة لك وهي من نوع جديد، فنظرت إليه مستفسرة فأسرع إلى القول:

– غادة الأندلس.. أول مسرحية أقوم بكتابتها وقد أرهقتني كثيرًا، وما كنت لأكتبها لغيرك مهما حدث.

وحققت «غادة الأندلس» نجاحًا لا يقل عن نجاح «مجنون ليلى» وأذكر أنني قلت لشوقي في إحدى زياراتي له أنا فخورة بنجاحي الذي ظفرت به في مسرحياتك.. وربت على كتفي بحنانه المعتاد وقال بصوت عميق كأنه قادم من أغوار بعيدة.

– إن في الحياة شيئين فقط خليقين بالاهتمام أولهما أن تظفري بما تريدين، والثانى أن تعرفي جيدًا كيف تستمتعين بما ظفرت به بعد ذلك، وإن كان الحكماء فقط هم الذين يدركون الشيء الثاني فالمهم دائمًا هو المستقبل.

ونظرت إليه مبتسمة وقلت:

– إننى لا أخاف من المستقبل كثيرًا، لأنني راضية عن الأمس وأحب يومي الذي أعيشه.

– إننى أحب فيك هذه الثقة والاعتزاز بشخصيتك والإحساس بنفسك.

ومن المعروف أن فاطمة رشدي أعادت تقديم مسرحيات شوقي أكثر من مرة. وكان الإقبال الجماهيري يتزايد عليها باستمرار وكان شوقي يواظب على حضور المسرحيات وفي إحدى المرات قال لها: لقد شاهدت طلبة مدرسة الحقوق يجرون عربة سارة برنار بدل الخيل عندما زارت مصر، وقدمت بعض أعمالها وإنك لجديرة بمثل هذا التكريم، وأنا أعد لك الآن هدية جديدة مسرحية «على بك الكبير».

تقول فاطمة: إن أعمال شوقي وراء تفوُّق فرقتي الواضح على فرقة رمسيس في هذه الفترة، خاصة أن عزيز عيد كان يعرف كيف

يحول الأبيات الشعرية إلى حوار بين الممثلين، ويقف على نهاية المعنى فلا يكون هناك إسهاب في الإلقاء يخل بالتفاعل بين الأحداث والعناصر.. كما أن شوقي كان حريصًا على سلامة أداء الممثلين بشكل كبير جدًا فكان يرسل صديقه الدكتور سعيد عبده لحضور البروفات، ليضبط لغتنا العربية مع نطق الشعر بشكل سليم.

وقدم شوقي دوره على مسرح حياة فاطمة رشدي كأحسن ما يكون الشاعر والفنان، بها قفزات واسعة ما كانت لتتحقق لها بدون هذه الأعمال التي مازالت تقرن باسمها حتى ذلك الوقت.. وقد صفق الجمهور طويلًا لهذه المشاعر التي أبدعها شوقي على لسان «كليوباترا» و«أنطونيو» و«ليلى والمجنون» ربما عانى شوقي كثيرًا ولم يتقاض أجرًا عن هذه الأعمال التي كانت تعبيرًا عن الإعجاب.. بينما سقطت كل الثمار في سلة فاطمة، لتضيف إلى رصيدها نجاحًا جديدًا أكثر ثباتًا، لأن من يمثل هذا الدور هو أمير الشعراء خالد الذكر أحمد شوقي.

وجدير بنا أن نشير إلى أن أمير الشعراء مثلت له فاطمة مسرحيتين آخريين – غير «مصرع كليوباترا» و«ليلى والمجنون» – هما «على بك الكبير» و«أمير الأندلس».. وكان تقديم هذه

المسرحيات على المسرح حدثًا مهمًا في تاريخ المسرح العربي، إذ كانت معظم النصوص التي تعرض تكون مترجمة أو ممصرة.

ولم يكن شوقي هو الشاعر الوحيد الذي لعب دورًا مؤثرًا في حياة الممثلة الكبيرة بل إنها استطاعت أن تجمع إلى جانب شاعر الفصحى واحدًا من أهم شعراء العامية وهو «بيرم التونسي» الذي التقته فاطمة رشدي في باريس. وكان من المبعدين السياسيين في ذلك الوقت يعاني من الفقر والحاجة في منفاه، واتفقت معه على كتابة مسرحية لها فكانت «ليلة من ألف ليلة» التي لاقت نجاحًا كبيرًا ثم جاءت مسرحيته الثانية «عقيلة» امتدادًا لهذا النجاح ولتجعل للشعراء مساحة أكبر على مسرح حياتها.

«ثمة امرأة كانت وراء جنكيز، هذا ما تقوله الأسطورة المغولية التي تضيف أنها كانت مختلفة وأنها كانت تشبه البحيرات، حتى إذا ما اغتسلت بالشمس فسيكتب لها وله الخلود، وكانت رحلة الشرق الهائلة، فللوصول إلى الشمس لابد لحصانه أن يتسلق الكثير من الدم.. قال وهو يموت للمرأة التي أحبها.. وتدعى «ناغاي» لم أعثر على الزمن إلا فيك «ربما لهذا السبب أمر أحد مرافقيه بأن يقتلها بالخنجر ليرى لون دمها الذي هو دم الزمن «بكى جنكيز خان من أجل امرأة».

لم يكن كمال سليم رجلًا عاديًا في حياة فاطمة رشدي، فبرغم قولها إنه الرجل العبقري الذي لم تُدرك عبقريته إلا بعد رحيله.. إلا أنها تؤكد أيضًا أن الحياة معه كانت مستحيلة، بسبب غيرته الشديدة وغروره الزائد.. ثم تعود لتقرر أنها لم تعرف الحب والشباب إلا إلى جواره.

على أي حال كان كمال سليم واحدًا من ألمع النجوم في حياة فاطمة رشدي؛ فهو صانع مجدها السينمائي، ومع ذلك لا يمكن القطع بأن كمال قد أحب فاطمة قبل أن يلتقيا في مجال العمل.. أم أن علاقتهما بدأت بعد ذلك.. والسبب هو إصرار كمال سليم على أن ينتظر عودتها من رحلتها في أوروبا، ليسند إليها باكورة أعمالها الفنية.. رافضا بشدة أن تقوم بدورها أي فنانة أخرى.. ربما كان ذلك لضمان نجاح الفيلم معتمدًا على شهرتها، وهذا ما أكدته فاطمة رشدي نفسها قائلة: «كنت أتجوَّل في أوروبا لتقديم بعض فصول من أشهر أعمالي المسرحية وأثناء وجودي في فرنسا وصلتني رسالة من أحد الأصدقاء يطلب مني سرعة العودة إلى القاهرة، لأن المخرج كمال سليم ينتظرني للقيام ببطولة فيلمه الجديد «العزيمة»، وكان قد أرسل لى عدة برقيات على عناوين مختلفة في أوروبا، لأنه لم يكن يعرف مكان إقامتي بالتحديد.. وبصراحة شديدة تعجبت من إصرار هذا الشاب على أن

أقوم أنا بهذا الدور.. رغم أنني لم أكن أعرف عنه سوى أنه مخرج فيلم «وراء الستار» ولم يحدث أن التقيت به قبل ذلك.. «وكان ستوديو مصر في ذلك الوقت هو الواجهة الحقيقية للسينما.. وكانت النية تتجه إلى إيجاد مجموعة من المخرجين المصريين ليحلوا محل المخرجين الأجانب وكان من هؤلاء «نيازي مصطفى» و«علي بدرخان» و«صلاح أبو سيف» و«كمال سليم».

وعادت فاطمة إلى القاهرة.. وكان اللقاء الأول مع كمال سليم داخل ستوديو مصر.. وكانت فرحته شديدة لحضورها فهذا يعني موافقتها على القيام بالدور.. وتقول بطلة «العزيمة»: كانت الفرحة تقفز من عين هذا الشاب الذي بادرني قائلًا: سوف ينجح فيلم "العزيمة" لأنك أنت البطلة، وفي الحقيقة لم أتخيل أن تقوم ممثلة غيرك بالدور، لأنني أعتبرك رائدة في مجال السينما كما أنت رائدة في مجال المسرح، وأبدى اندهاشه من قدرتي على الجمع بين العمل في مجال السينما والمسرح بنفس الكفاءة والدقة.

ولم يكن الاتفاق على الأجر بالمسألة السهلة، فميزانية الفيلم محدودة وهو لا يستطيع أن يرفع الميزانية في ظل الضغوط التي يمارسها الخبير الأجنبي ضده، وضد المخرجين المصريين، خوفًا من

الاستغناء عنه في حالة نجاحهم.. كما أن فاطمة رشدي ذات الشهرة العريضة لن يمكن أن تقبل أجرًا لا يتناسب مع وضعها في ذلك الوقت.. وهذا ما أكدته بقولها: «عندما انتقلت أنا وكمال إلى الحديث عن الفيلم ودوري فيه والتفاصيل الأخرى المهمة شعرت أنه لا يتطرق إلى الأمور المادية وإنما يقتصر حديثه على الناحية الفنية فقط.. وعندما سألته عن الأجر بدا عليه الارتباك والخوف.. وأخبرني وهو يتعلثم في الكلام أن ميزانية الفيلم لن تسمح بأكثر من ١٦٠ جنيهًا، ولم يكن في إمكاني قبول مثل هذا المبلغ، فاعتذرت له في البداية.. ولكن الرعب الذي رأيته في عينه والانكسار الذي أحسسته فيه جعلني أوافق وقمت بتوقيع العقد.. لأنني أدركت أن هذا الشاب يعقد آمالًا كبيرة على قيام ببطولة فيلمه ولم أحب أن أخيِّب آماله بعد أن انتظرني طويلًا لحين عودتي من أوروبا.

وتتابع: وبعد ذلك بدأ كمال يعقد معي جلسات طويلة يُصر خلالها على أن يشرح لي كل التفاصيل حتى الصغيرة منها، ولم يكن دوري من الصعوبة التي تحتاج إلى كل هذه الجلسات التي أدركت من خلالها أن هذا الشاب العبقري المثقف ينتظره مستقبل كبير في عالم الإخراج السينمائي، وكنت أرى تشابهًا كبيرًا بين عقليته بالنسبة للسينما وعقلية عزيز عيد في المسرح!!

ومنذ اليوم الأول الذي وضع فيه كمال قدمه في استوديو مصر وهو يواجه حربًا شعواء من الأجانب الذين كانوا يسيطرون على الاستوديو، فقد وجدوا فيه خطرًا يهدد وجودهم في الاستوديو، بعد أن كشف كمال سليم جهلهم الشديد بعملهم الفني في اجتماع عام عقده طلعت حرب، لوضع خطة إنتاج الاستوديو.. وحفظها له هؤلاء الأجانب، فأعلنوا عليه حربًا شعواء ووضعوا في طريقه العراقيل.. وكانوا يتهمونه بأنه قليل التجربة صغير السن – وقتها – لكن جدير بنا أن نذكر أن كمال سليم من مواليد نوفمبر عام ١٩١٣ والده هو عبد الغني بك سليم تاجر من الأعيان.. وحصل كمال على الشهادة الابتدائية عام ١٩٢٥ وكان عمره وقتئذ اثنى عشر عامًا.

وكان يُعد أصغر تلميذ حصل على هذه الشهادة وقتها، إذ كان في دفعته تلاميذ في عمر والده، والتحق بالمدرسة الثانوية وأظهر تفوقًا كبيرًا في دراسته حيث أتقن الإنجليزية إتقانًا تامًا.. وقرأ في هذه المرحلة أعمالاً لشكسبير وبرناردشو وعشق السينما منذ صباه وتعلَّم الفرنسية وأتقنها وقرأ الكثير من الكتب عن فن السينما الفرنسية.. وقد قرر «سليم» أن يكتفي من العلم بشهادة الكفاءة «الثانوية» بعد أن ملأت رأسه فكرة دراسة السينما في الخارج علميًا بعد أن درسها نظريًا عن طريق الكتب.. وقد رفض والده أن يوافق على سفره إلى باريس

قبل أن يكمل دراسته، لكن كمال كان عنيدًا محبًا للمغامرة، فسافر إلى بورسعيد واستطاع أن يتسلل إلى سفينة كبيرة في طريقها إلى باريس وعاش فوق سطح السفينة، ولكن في مرسيليا قبضوا عليه وأعادوه إلى القاهرة بعد أن أقام والده الدنيا وأقعدها.. وفي القاهرة ضرب الأب عليه حصارًا شديدًا لعله يعود إلى دراسته، وأقام وحده في غرفة على سطح قصر الأب في حي الظاهرة، وكان أثاثها عبارة عن سرير متواضع وأكثر من ألف كتاب في الآداب والعلوم والفنون وعكف على قراءة هذه الكتب واستطاع أن يتقن الألمانية والإيطالية، وأن يخرج بعد هذه القراءات بفكرة شاملة عن طريقة كتابة السيناريو السينمائي، وجرَّب حظه في كتابته فكتب سيناريو فيلم غنائي بعنوان «وراء الستار»، وحمله إلى صاحب شركة أسطوانات أوديون التي كانت تواجه منافسة شديدة من شركة أسطوانات بيضافون التي احتكرت أغاني أفلام عبد الوهاب.. وكان صاحب شركة أوديون يرغب في إنتاج أفلام غنائية يحتكر أغانيها لأسطواناته وما كاد يطلع على سيناريو فيلم «وراء الستار» حتى أعجب به وسأل الشاب.. ومن الذي سيخرج هذا الفيلم؟

فأجاب الشاب الذي لم يتجاوز من العمر وقتئذ ٢٣ عامًا: أنا الذي أخرجه أيضا! وبعد مناقشات طويلة لمس فيه الرجل صاحب

الشركة حماسًا كبيرًا، فوقع معه عقد اتفاق على إخراج الفيلم، لكنه لم يحظ بنجاح فني كبير، فقد كان المنتج شديد البخل في ميزانية الفيلم.. لكن الفيلم لفت الأنظار إلى مخرجه الشاب بما حقق من نجاح مادي كبير.

وتذكر فاطمة أنها أدركت منذ اللقاء الأول بكمال سليم أنه يحبها، ولكنه كان يخشى التصريح بهذا الحب، فهي الفنانة الكبيرة وهو مازال في بداية طريقه.. ولكن الذي حدث أثناء تصوير الفيلم جعله لا يستطيع أن يخفي مشاعره، خاصة غيرته الشديدة من عزيز عيد الذي شارك في الفيلم بدور صغير قبله بلا تردد قائلًا «علشان عيون بطاطا».. وفي بداية التصوير كان كمال سليم المخرج يُبدي كثيرًا من الملاحظات على أداء بطلة الفيلم التي اعتقدت أنها أكبر من ذلك وحدث شد وجذب بينهما، ولكن ذكاء كمال كان قادرًا على تحقيق ما يريد.. فقد نزل على رغبتها وتركها تمثل كما يحلو لها لمدة ثلاثة أيام متوالية، ثم طلب منها أن تقارن بين المشاهد التي مثلتها كما أراد هو والأخرى التي مثلتها على حريتها، وبالفعل أدركت فاطمة الفارق الكبير وأصبحت تنفذ تعليماته حرفيًا وصارت متحمسة جدًا ولكل ما يقوله.

وطالت فترة حب كمال سليم الصامت.. ولكن حماس فاطمة له ووقوفها إلى جانبه كان مشجعًا على الإفصاح عن حبه ورغبته في

الزواج منها.. وتعترف فاطمة: «كنت بدأت أقتنع بموهبته جدًا، ويزداد اقتناعى به يومًا بعد يوم وفكرت بالفعل في الزواج من هذا الشاب الذي يملك كل إمكانيات النجاح في عالم السينما وأيقنت أن ارتباطي به سوف يجعل لى شأنًا كبيرًا في مجال التمثيل السينمائي.

ولكن فاطمة كانت تريد كل شيء: النجاح والثروة، ولم يكن كمال على درجة من الغنى الذي يُرضي قناعتها، وإن كانت واثقة من النجاح في دنيا الفن وتعترف هي بذلك فتقول: عندما صرَّح لي كمال بحبه ورغبته في الزواج كنت مترددة جدًا لسببين.. أولهما أن أحواله المادية لم تكن قادرة على تحقيق المستوى الذي يمكنني أن أعيش فيه كنجمة كبيرة اعتادت على حياة الأثرياء كما أنني كنت أخاف جدًا من غيرته الشديدة.

إن كل امرأة يجب أن تمتلك قدرًا من الطموح تشعر معه أنها قادرة على بلوغه وهي تسعى لتحقيق أعمالها – حتى اليومية منها – ولاشك أن طموح المرأة يرتبط ارتباطًا وثيقًا بفكرتها عن نفسها، ومكانتها الاجتماعية وقدراتها الشخصية حتى تظفر باحترام الناس وتقديرهم.

وكانت رغبة كمال في النجاح وإثبات تفوقه أمام بطلته وحبيبته هي دافعه إلى بذل المجهود الكبير لإنجاح «العزيمة» وكان له ما أراد، فقد نجح الفيلم بشكل غير مسبوق في تاريخ السينما المصرية.. وقد علَّق عزيز عيد عليه بأنه «ميلاد السينما المصرية» واعتبره المؤرخ الشهير «جورج سادول» واحدًا من أعظم ١٠٠ فيلم في تاريخ السينما العالمية، وقد تعرَّض فيلم «العزيمة » للعديد من المشاكل والعراقيل، فعندما بدأ العمل في الفيلم حاولت الجبهة الألمانية أكثر من مرة أن تتدخل لتوقف العمل في الفيلم، فادعوا أن الإنفاق قد زاد عن الحدود وطلبوا عقد اللجنة المشرفة على استوديو مصر، وتضم خبراء ألمان للمحاسبة على هذا الإسراف، فما كان من الفنانين والعمال والفنيين إلا أن احتجوا على ذلك، وشعر كمال سليم ورفاقه بخطورة الأمر إذا رفضت اللجنة الموافقة على استكمال الفيلم.

وكان لابد من اتخاذ قرار.. وقرر "سليم" قتل المخرج الألماني «كرامب» والذي يتزعم جبهة المعارضين، ولكن صديقه ومساعده صلاح أبو سيف يتطوع لأداء هذه المهمة حتى يتسنى استكمال الفيلم.. وبالفعل اشترى أبوسيف مسدسًا واستعد لتنفيذ المهمة.. ولكن كان قرار اللجنة باستمرار العمل في الفيلم.. ولم يعجب هذا القرار

جبهة الألمان، فأشعلوا النار في معمل التحميض والطبع والمونتاج، فاحترق فصلان كاملان من الفيلم.

وأعاد كمال سليم تصوير الفصلين المحترقين وخرج فيلم «العزيمة» إلى الوجود.. وبعد عرض الفيلم تعرَّض الفيلم في داخل مصر وخارجها لانتقادات عنيفة، قالوا عنه في الداخل إنه يسيء إلى سمعة مصر ويجب مصادرته، وعن ذلك يقول المؤرخ السينمائي جورج سادول، لم يسلم الفيلم من النقد بعد أن عرض في فرنسا بعد عمل الدوبلاج، فقد ادعى النقاد الفرنسيون أن كمال سليم استعان سرًا بأحد المخرجين الفرنسيين، ولكن هذا الادعاء كان دافعه تلك النعرة التقليدية في الهجوم على الأفلام المصرية والتعالي على الفن العربي، وأيضا لأن «سليم» اتضحت شخصيته الموهوبة وطابعه المتميز كمخرج مصري، لا يقل فهمًا وتذوقًا ومعرفة عن أعظم المخرجين في العالم.. بل إن فيلم «العزيمة» يُعتبر من أول أفلام الواقعية في العالم.

وفي اليوم الذي بدأ فيه كمال سليم بجد طريقه إلى العمل وجد طريقه إلى الحب؛ فقد أخرج واحدًا من أعظم الأفلام المصرية، وأحب أشهر ممثلة مسرحية في تاريخ المسرح العربي وهي فاطمة رشدي.. ولكن هل أحبت كمال سليم كما أحبها؟ لا شيء مما حدث بعد يؤكد

ذلك، ربما كان بالنسبة لها مجرد وسيلة تصل بها إلى الشهرة والمال والنجومية، فإذا ما وصلت لم تعد بها حاجة إليه، فعندما بدأ العمل في الفيلم من أول يوم كان كمال سليم يسقط في غرامها يومًا بعد يوم.. وحين انتهى العمل كان قد غرق حتى أذنيه.. أما هي فقد أعلنت أنها انتهت من الفيلم ومن المخرج أيضًا.. وإن كان نجاح الفيلم قد أغراها بالاستمرار معه بغية تحقيق نجاحات أخرى.. لما لم يحدث ذلك غادرت منزله ولم تعد إليه إلا بعد عام كامل من هجرها، له وبالتحديد في ٥ مارس عام ١٩٤٤..عادت باكية أو متباكية لتؤدي واجب العزاء في «كمال سليم» الرجل العظيم الذي أحبها بصدق.

وإذا عدنا إلى تاريخ «فاطمة» السينمائي والذي يحتوي رصيده على ستة عشر فيلمًا فقط نجد أن فيلم «العزيمة» هو الفيلم الخامس في مشوارها السينمائي ويحمل هذا الفيلم رقم «٩٥» في تاريخ السينما المصرية.. فقد بدأت نشاطها السينمائي بفيلم «فاجعة فوق الهرم» عام ١٩٢٨ وهو فيلم صامت من أفلام المغامرات من إنتاج شركة «كندور فيلم» وإخراج إبراهيم لاما وبطولة بدر لاما ووداد عرفي.. والمعروف أن فيلمها الثانى هو فيلم "الزواج" الذي عرض في ١٩ يناير ١٩٣٣ لكنها تقول إنه الفيلم الثالث، فقد كان الثانى بعنوان

«تحت ضوء الشمس» من إنتاجي وإخراج وداد عرفي الذي قام فيه أمامي بدور البطولة، وهو فيلم لم ير النور، لأني أحرقته ولم أسمح بعرضه، لعدم رضائي عنه فنيًا.

أما فيلم «الزواج» الذي يحمل رقم ١٩ في قائمة الأفلام المصرية، فهو من إنتاجها وتأليفها وإخراجها وتمثيلها، وصورت مناظره في باريس وإسبانيا ومصر.. يدور موضوعه حول مشكلة «بيت الطاعة» وقد قام أمام فاطمة بدور الفتى الأول محمود المليجى بينما قام بدور الفتى الشرير علي رشدي.

وإذا أغفلنا فيلم «تحت ضوء الشمس» من قائمة أفلامها لأنه لم يُعرض على الجمهور، فإن الفيلم الثالث يكون فيلم «الهارب» الذي عُرض في أول أكتوبر ١٩٣٦ وكان من إخراج إبراهيم لاما والراقصة امتثال فوزي وعبدالسلام النابلسي، وكان دورها فيه دور فتاة فلسطينية، بينما قام بدر لاما بدور فلسطيني فدائي مناهض للسلطات البريطانية في فلسطين.

والفيلم الرابع «ثمن السعادة» الذي عرض في ٥ مارس ١٩٣٩ وهو ميلودراما عاطفية من تصوير وإخراج ألفيزي أورفانيللي قامت ببطولته أمام حسين صدقي.

ومـوضـوع زواج كمال سليم وفاطمة رشـدي يحمـل كثيرًا من اللا منطق، فهي الفنانة الكبيرة وهو الشاب الصغير.. هي صاحبة التاريخ المسرحي الطويـل وهـو عبقري السينما الجديـد.. تقـول: عنـدما عـاود كمال طلبه بالزواج مني معتمدًا على النجاح الكبير الذي حققه الفيلم مؤكدًا أن أحواله المادية سوف تتحسن بشكل كبير، وأنه سوف يتحرر من قيود الوظيفة ويتعاقد بعدها على عدد من الأعمال التي تضمن لنا المستوى المادي الذي يتناسب مع وضعي كفنانة كبيرة.

وتزوجـت فاطمـة كمـال.. وعاشـت معـه أجمـل أيـام عمرهـا فهـو شاب استطاع أن يعوضها عن كثير من الحرمان الذي عاشته في شبابها مع عزيز عيد.. على الرغم من غيرة كمال الشديدة والتي كانت تصل بـه إلـى حـد ضـربها إذا ابتسـمت لأحـد المعجبـين أو الـزملاء.. إلا أن عـددًا كبيـرًا مـن الأصـدقاء يؤكـد أنهمـا لـم يتزوجـا، وأن العلاقـة بينهمـا كانت حبًا جارفًا لم يصل أبدًا إلى مرحلة الزواج.. وهذا ما ذكرته بعض الأحاديث الصحفية آنذاك!!

ولـم يسـتطع كمـال سـليم أن يـتخلص مـن غيرتـه الشـديدة خاصـة مع عزيز عيد الزوج السابق لها، حيث كانت تجمعهما بعض الأعمال المسرحية من وقت لآخر.. وحدث أن تعاقد أحد أصحاب الملاهي

بالإسكندرية معهما على تقديم مسرحية من فصل واحد. وبالفعل سافرا إلى هناك، لتشتعل نيران الغيرة في قلب عبقري السينما الشاب من عبقري المسرح العجوز.. وحاول كمال أن يخفي غيرته، ولكن أسئلته واستفساراته الكثيرة كانت تفضحه، فأخذ يسأل عن طبيعة العمل وشكل دورها ودور عزيز في المسرحية ومدة العرض وغيرها من الأسئلة التي كانت تنم عن غيرته الشديدة التي يرفض الإفصاح عنها، وإن كان يتعذب بها في الوقت نفسه.

وسافرت فاطمة وعزيز إلى الإسكندرية، وكان كمال لا يطيق وجودها مع عزيز، فكان يحضر إليهما بشكل مستمر أثناء عملهما هناك، وفي إحدى زياراته المفاجئة في الإسكندرية عرض على عزيز أن يعمل معه في فيلمه «إلى الأبد» ووافق عزيز غير أن فاطمة كانت متخوفة من هذا الأمر، لأنها كانت تعلم غيرته من عزيز والتي تصل إلى حد الكراهية.

لكن لقاءات عزيز وكمال تكررت من وقت لآخر، وكانا يتحدثان طويلًا عن السينما والمسرح، وبدأ تصوير فيلم «إلى الأبد» وفوجئت بالدور الذي أسنده إلى عزيز كان دورًا صغيرًا جدًا لا يتناسب مع إمكانيات عزيز الهائلة.. وتقول فاطمة رشدي: لا أعرف كيف وافق

عزيز على القيام بهذا الدور حتى أخبرني بعدها أنه لم ينظر إلى حجم الدور إلا بمنظار التعاون مع كمال سليم فنيًا في مجال السينما.. ولكن كمال لم يقتصر على اختيار عزيز لهذا الدور التافه، بل تجاوز ذلك، فما كان عزيز يبدأ في أدائه حتى يلاحقه بتعليماته في عنف وقسوة تبين ما يحمل في نفسه تجاهه من حقد وغيرة.. وقد حدث أن صرخ فيه أكثر من مرة أمام كل المشاركين في الفيلم ومعظمهم من تلامذة عزيز قائلًا:

– تمثيل إيه ده آمال كنت مُخرج إزاي؟ حتى دور «كومبارس» لا تستطيع أن تقوم به؟!

ولم يجب عزيز عيد وإنما انسابت دموعه وهو ينظر إلى الأرض حتى لا تلتقي عيناه بأعين تلاميذه وتلميذاته الذي يمثلون معه ولم يترفق كمال بل زاده قائلًا:

– أنت عامل نفسك كبير يا أستاذ عزيز.. السينما ليس بها كبير وقد طردت محمد كريم قبل ذلك، لأنه لم يستطع أن يؤدي دوره ولست مستعدًا للإبقاء عليك.

وازدادت غزارة دموع عزيز عيد وتضامن معه تلامذته بدموعهم، خصوصًا فالغرور قد بدأ يستولي على كمال سليم بعد الشهرة الكبيرة

التي حققها من خلال فيلم «العزيمة».. وبدأ يعتقد أنه من العباقرة وفوق مستوى البشر، فبدأت علاقته تسوء بكل العاملين بالفيلم، خاصة بعد أن حضر إليه رجل فرنسي، وقال له أنت أكبر من أن تعيش في مصر.. أنت عبقري عالمي.. وبدأ يصدر العديد من الأوامر التعسفية لمساعديه، وخاصة صلاح أبو سيف مساعده الأول، ومحمد عبد الجواد، وكان لهذا الغرور والتعنت الذي أصاب سليم أكبر الأثر في تعاطف معظم العاملين مع دموع عزيز عيد.. ويذكر أن مساعده محمد عبد الجواد تدخَّل مرة محاولا وقف كمال سليم عن الاستمرار في التقليل من شأن عزيز عيد، فما كان إلا أن توجه إليه سليم قائلًا: وأنت أيضا ما كنت لتصبح شيئًا بدوني.. وكان النجاح الكبير الذي حققه فيلم «العزيمة» سببًا في نهاية كمال سليم السريعة، فقد ترسَّخ في ذهنه أنه أحد العباقرة في تاريخ السينما، وأن الجميع هم الذين يأتون إليه، فأصابته حمى الكبر والتعالي حتى على زملائه.. وكان يحيا حياة هلامية تتعدد فيها مغامراته النسائية.. وقد أساء أكثر من مرة إلى فاطمة مذكرًا إياها أمام زملائها أنه صانع مجدها وأنها لم تكن شيئًا يذكر في عالم السينما بدونه.

تقول فاطمة: وعبثا حاولت إيقاف سيل الإهانات المتعمدة التي يوجهها سليم لعزيز دون فائدة، فقد كان كمال أشبه ببركان انفجر،

تحرق غيرته كل شيء، خاصة بعد أن لعبت الظروف كلها لصالحه، فها هو عزيز عيد صاحب التاريخ الطويل وأحد أعمدة الفن في مصر يقف أمامه باكيًا.. وتركت الاستوديو إلى المنزل وصورة عزيز لا تفارق خيالي.. هذا الرجل الذي تحدى كل الظروف.. يبكي!! وجاء كمال خلفي مسرعًا وقال محاولًا استرضائي: أنا لا أتجنى عليه لكن ممثلي المسرح لا يفهمون في السنيما.. فرددت عليه: عزيز أستاذ كبير وما تقوله ليس صحيحًا، فنجاح السينما جاء بفضل ممثلي المسرح أمثال جورج أبيض ويوسف وهبي ونجيب الريحاني وأحمد علام وحسين صدقي والميلجى وغيرهم.. وفاجأني كمال باتهامي بأنني أحب عزيز وهذا هو سر دفاعي الدائم عنه والاستمرار معه في مجال المسرح، وإنني أريد أن أتركه من أجله ثم بدأ يلمح لي بأنه صاحب فيلم «العزيمة» الذي نال الجوائز الكثيرة والذي جعل مني أكبر ممثلة سينما.. فقلت له: إن نجاح «العزيمة» لا يعود لك وحدك وإنما جميعنا شركاء في هذا النجاح.

فأجاب: أنا لا أنكر هذا ولكنك لا تهتمين بي، ولا بمشاعري تسافرين مع عزيز إلى الإسكندرية والصعيد وتتركينني وحيدًا.. فقلت له:

– أنا خلقت فنانة وهذا عملي.

– وأنا خلقت لك يا فاطمة ولا أستطيع أن أحيا بدونك.

– لكننى لا أستطيع أن أتحمل غيرتك يجب أن نترك بعضنا

– إنها النهاية بالنسبة لي لو حدث ذلك

– هذا قراري ولن أتراجع عنه ربما تكون هذه بدايتك

– كل هذا من أجل أن أغضب عزيز

– عزيز أستاذي وصاحب فضل كبير عليَّ كما أنني مؤمنة به كفنان كبير وعظيم.. وإيماني به يأتي بعد إيماني بالله.

– أنا أسف يا فاطمة وأتمنى أن تسامحيني وسوف أعتذر للأستاذ عزيز.

ورغم اعتذار كمال سليم لعزيز عيد أكثر من مرة ورغم كل محاولاته لإرضاء فاطمة إلا أنها صممت على الانفصال عنه وتشرح ذلك بقولها: انفصلت عن كمال وبقينا صديقين فقط وأكملت معه فيلم «إلى الأبد» بعد أن اشترطت ألا يمثل فيه عزيز أى دور..

ورحل سليم من حياة فاطمة، لتسقط بعدها من قمة مجدها السينمائي إلى القاع رويدًا رويدًا فهي ترفض أن تقوم بدور أقل من

دورها في «العزيمة» بعد هذا المجد الذي وصلت إليه والذي كان يجعل بعض المخرجين يترددون كثيرًا قبل ترشيحها لأى دور خوفًا من رفضها.. وبمرور الوقت بدأت أضواء السينما تنحصر عنها يومًا بعد يوم ويتضاءل حجم الأدوار التي يتم اختيارها لها، خاصة بعد ظهور جيل من الممثلات الشابات الجميلات أمثال صباح وشادية وهدى سلطان. وقد حاولت فاطمة أن توقف عجلة الزمن، وتعيد تجربة كمال سليم مرة أخرى بزواجها من المخرج محمد عبد الجواد الذي كان يعمل من قبل مساعد مخرج لكمال سليم.. قدم لها عبد الجواد أفلام «غرام الشيوخ» ١٩٤٥ و«مدينة الغجر» عام ١٩٤٤، و«الريف الحزين» عام ١٩٤٨ إلا أن أحدًا من هذه الأفلام لم يستطع أن يحقق لها جزءًا من الخلود الذي حققه «العزيمة» ولم يكن محمد عبد الجواد في مثل عبقرية وعشق «كمال سليم» حتى إنه رغم زواجه منها لم يستطع أن يمثل دورًا بارزًا على مسرح حياتها الفنية.. بل ظل وجوده هامشيًا على صفحات تاريخ حياتها على المستوى الإنساني والفنى.. لقد استطاع «كمال سليم» أن يصعد بفاطمة إلى قمة المجد وقمة الحب.. وعندما انسحب من حياتها رأت كل نجاحاتها صغيرة بالمقارنة بما وصلت إليه معه.. إن شباب كمال جاء مصاحبًا لشباب السينما المصرية وإدراكًا لشباب فاطمة الذي لم نعشه من قبل فكان

المجد والسعادة والحب مترادفات بوجود سليم.. في حين يرى الكثير من المؤرخين لمسيرة فاطمة رشدي الفنية أنها كانت أكثر ذكاءً في علاقتها بكمال سليم فقد أخذت منه أبدع ما صنع «العزيمة» وتركته بعد أن تأكدت أنه لن يستطيع أن يحقق لها شيئًا أكبر من هذا.

والدليل أن أعماله اللاحقة للعزيمة لم تحقق المنتظر.. بينما تؤكد فاطمة أن كمال كان عبقريًا لم تستطع أن تفهمه إلا بعد رحيله.

ويذكر أن كمال سليم قد تخبَّط في حياته عقب هجر فاطمة له، واشتد عليه المرض قبل أن يتزوج من الفنانة أميرة أمير التي كانت نموذجًا للوقار، فرفضت عرضه عليها بالطلاق وأصرت أن تكون إلى جانبه في محنته حتى وفاته، ورغم علمها أنه مازال متأثراً بفاطمة رشدي وعاشقا لها.. ويذكر أن «سليم» كان من أشد المتحمسين لإنشاء نقابة للسينمائيين في مصر وانتخب وكيلًا لها قبل موته بعام واحد.



## إيلي الدرعي..

## ترددت حكاية غرامه بها

## فطلقها عزيز عيد

قديمًا قالوا «قلب المرأة لؤلؤة تحتاج إلى صياد ماهر» كما أن أضعف لحظات الرجل عندما تقول له امرأة: كم أنت قوي، لأن كل رجل قوي تغلبه امرأة جميلة، فجمال المرأة شيطانها، وسعادة الرجل في كلمة تخرج من بين شفتي امرأة.

إذا كان عزيز عيد قد وضع كل خبرته كأستاذ وفنان كبير في خدمة الطفلة الموهوبة «فاطمة رشدي»، فجعل منها سارة برنار الشرق، فإن إيلي الدرعي وضع ملايينه تحت قدمي فاطمة التي لم تعد طفلة، بل أصبحت امرأة كاملة الأنوثة.. وإذا كان عزيز قد منحها الشهرة، فإنه لم يستطع أن يمنحها الثروة.. لكن الدرعي منحها الثروة والغنى.. ففي الوقت الذي كان عزيز يصنع مجدها الفني كان الدرعي يتحمل تكاليف هذا المجد.

ولأن حياة فاطمة لم تكن تصلح للتعايش بين عاشق الفن «الفقير» وعاشق الفنانة «الثري» فكان لابد من انسحاب أحدهما.. وبالفعل فضل عاشق الفن الانسحاب تاركًا المجال لصاحب الملايين عاشق الفنانة، ليرفع الستار عن بطل لكن من نوع جديد!

والحقيقة أنه عقب انسحاب فاطمة من فرقة رمسيس المسرحية وتكوين فرقتها الخاصة بها لم تكن الإمكانيات المادية المتاحة لديها

تتحمل جو المنافسة الشرس الذي ساد بين الفرقة الجديدة وفرقة رمسيس، ولما لم يمتلك عزيز عيد المال باع صالون بيته بمائة جنيها لتستمر فرقة «فاطمة رشدي» وقدمت أول أعمالها رواية «الحب» أو«أدريان ليكوفرير» من تأليف سارة برنار وترجمة حبيب جاماتي.. وروايات أخرى.. ولكن كل محاولات إنقاذ الفرقة باءت بالفشل برغم النجاح الذي حققته إلا أنها أفلست في النهاية، وظلت فاطمة وعزيز يفكران في حل لمشكلتهما، فالفرقة يجب أن تبدأ موسمها الثاني وتستمر.. ولكن من أين المال؟ وتسوق المصادفة إلى طريق فاطمة أحد رجال البورصة «إيلي درعي» المعجب بها، والذي يتابع أعمالها.. ولما عرف المشكلة وضع لها الحل.. ولم يكن سوى رصيد بمبلغ عشرة آلاف جنيه مرة واحدة وبدأت الفرقة موسمها الجديد، فقد توافرت لعزيز عيد الأموال التي تجعله قادرًا على تحقيق حلمه كمخرج وتحقيق أحلام حبيبته وزوجته.. في نفس هذا العام ١٩٢٧ قدمت فاطمة رشدي أول عمل لها على الشاشة الفضية كممثلة وهو فيلم «فاجعة فوق الهرم».

وتؤكد أنها تعرّفت على «إيلي الدرعي» المليونير الجزائري الأصل وكان شديد الإعجاب بها وتطورت العلاقة بينهما إلى حب كبير، لدرجة أنه وضع أمواله كلها تحت تصرفها بصفته شريكًا لها هي

وعزيز عيد.. ولكن الإشاعات التي رددها البعض اضطرت عزيز إلى تطليقها؛ ليبدأ سيناريو الدرعي الجديد يتجسد على خشبة مسرح حياتها.

وتقول: بدأت علاقتي بالدرعي تتحول من الإعجاب إلى الحب بعد أن انتشلنا من الخسائر الفادحة التي لحقت بالفرقة في رحلتها إلى بيروت وبغداد ودمشق، وكنت قد قررت حل الفرقة، لكن الدرعي تحمل كل النفقات والخسائر لأنه لا يريدني أن أعيش بعيدًا عن عالمي الذي أحبه ويخاف عليَّ من الضيق أو الانفعال.. ودعاني إلى رحلة لأوروبا لإراحة أعصابي على أن نعود لمواصلة العمل في الفرقة وحجز لنا جناحًا خاصًا على إحدى البواخر الفاخرة.

## أول رحلة

وكانت هذه هي أول مرة تسافر فيها فاطمة إلى أوروبا وقد أغدق الدرعي عليها الكثير من المال والمجوهرات وكل ما تتمناه.. وتسترجع فاطمة هذه الذكريات بالقول: كان الدرعي كريمًا لدرجة لا يمكن تصورها.. وقلت له طالما إنك مُصر على استمرار الفرقة بعد عودتنا، فإنني أتمنى رؤية مسارح أوروبا العظيمة وأن أتعرف على أحدث ما وصلت إليه من تطور حتى يمكنني الاستفادة منها في الأعمال التي

سوف أقوم بتقديمها في فرقتي.. كما أحب أن أتعرف على الفنانين الكبار والمجتمع الأوروبي.. وضحك الدرعي وقال: "ألم يكفك ما ضاع من أموال في الفترة الماضية ولم تحققي النجاح الذي تحلمين به!!"

وكان ردي قاطعًا: "تنجح المرأة بالإصرار على ما تريد وليس بالمال وحده" فربت على يدي في حب كبير قائلًا:

– «يا فاطمة» أنا مستعد لإنفاق آخر مليم في ثروتي من أجل إسعادك، وليس لي شاغل آخر غير ذلك.

فترد فاطمة: السعادة لا تأتي بالمال، وإنما هي بنت الكفاح والتعب ومن يظن أنه يبلغ السعادة بالمال كمن يحاول أن يأكل النقود بدلًا من الخبز، إن السعادة تحب أن ترى الباحثين عنها يكابدون ويضحون من أجل الوصول إليها.

فكان قوله «أنت فيلسوفة كبيرة يا بطة» «وهكذا كان الدرعي يحب أن يناديها عندما يكون سعيدًا».

– هذه ليست فلسفة بل هي الواقع بعينه والدليل على ذلك أنك مليونير ولا تستطيع أن تجد سعادتك إلا معي.

– حسن.. أنا تحت أمرك في كل ما تطلبينه.

– أنت كريم يا إيلي لأن الكريم في نظري هو من يفكر في إسعاد الآخرين قبل أن يفكر في حقوقه.

وطافت «بطة وإيلي الدرعي» الكثير المدن والعواصم الأوروبية عاشت خلالها أيامًا تلمس بيديها كل ما كانت تحلم به وأكثر.. سهرت في مسرح «الليدو» الشهير بباريس، وارتدت فساتين «نابولي» الشهيرة ووضعت على كتفها الفراء الذي اشتراه إيلي لها من روما، كما تطوق عنقها ويديها بمجموعة من المجوهرات النفيسة التي أهداها إياها في جنيف.

وتقول: في أوروبا كان «إيلي» يغار عليّ من كل الرجال حتى إنه كان يطوّقني بذراعه أثناء سيرنا في الشارع وكأنه يخاف أن أهرب منه أو يخطفني أحد.. لقد تأكدت من حب الدرعي لي ونحن في باريس، فبعد إحدى السهرات أصابتني وعكة خفيفة، وعلى الفور استدعى الطبيب وكان في غاية القلق والجزع ولم يكف عن ترديد جملة «حسدوك الأجانب.. الله ينكد عليهم» والواقع أنه في باريس رأت «بطة» كل شيء كانت تحلم به وربما لم تكن تحلم بذلك يومًا.. دخلت المعارض والمتاحف والمسارح والكازينوهات وعلب الليل،

وتعرفت بعدد كبير من الفنانين مثل مستنحيت – سيسيل سوريل – شارل بوابيه – جوزيف بيكر.. كما حضرت ليالي «ماركيز» الحمراء الماجنة.. وتذكر فاطمة تعليق «ماركيز» عندما رأى وجنتيها تتوردان خجلًا وحياءً بقوله بأنها تذكره بزوجة الملك «لويس الرابع عشر» التي كانت تستدعي الطبيب يوميًا للتغلب على الخجل الذي تشعر به من الحكايات الصريحة الجريئة التي كانت تروي في البلاط الفرنسي.

وضحكت فاطمة رشدي قائلة: "إذن فسأجيء إلى قصرك دائمًا بصحبة الطبيب". ومن باريس إلى «دوفيل» وتؤكد فاطمة أنها كانت أول فنانة مصرية تدخلها.

وكان الدرعي ينفق ببذخ شديد في سعيه الدائم لإرضائها وإسعادها لدرجة أنه دفع ألف جنيها – وهو مبلغ ضخم جدًا وقتها – حتى تتمكن من دخول أحد نوادي القمار بعد أن رفض صاحبه دخولها بسبب صغر سنها، وخسر الدرعي ليلتها عشرين ألفًا على مائدة القمار.

وتؤكد فاطمة: أن الدرعي استطاع بنقوده أن يجعلها تعيش كملكة أثناء وجودهما في أوروبا، حتى إن الشباب الأثرياء هناك كانوا

يحيطون بها وكل واحد منهم يأمل في أن تقبل دعوته على الغداء أو السهر أو رحلة إلى الضواحي.

في باريس كانت «سارة برنار الشرق» تبحث عن الفن في كل شيء.. تهتم بالمسرح وتصميمه ونظامه وما هو الفرق بين مسرح الدراما والاستعراض من ناحية الحجم والشكل.. وفي عاصمة النور التقت بالشاعر «بيرم التونسي» فوجدتها فرصة للاتفاق معه على كتابة مسرحية بالعامية المصرية.. وبعد العودة إلى القاهرة وضع الدرعي كل أمواله تحت تصرف الفرقة وصاحبتها قائلًا:

– اطلبي ما تشائين فأنا أعلم أن الفرقة هي البحر الذي لا يكف عن طلب المزيد.

فأجابت فاطمة رشدي: فلتعتبر هذا المال قرضًا أرده إليك عندما تتحسن الظروف.. وضحك الدرعي قائلًا:

– المنح خير من الإقراض عندي، لأن العاقبة واحدة في الحالتين وهي أنك لن تستطيعين السداد، لذلك لا أحب أن يسبب لك المال مشكلة أو قلقًا.

وبدأت فاطمة في تقديم المسرحيات مثل: «إبراهيم باشا»، و«الكابورال سيمون»، و«حواء»، و«مدام سان جين» ورغم الخسارة الكبيرة التي يتحملها إيلي ظل متمسكًا بها.. وتقول عن ذلك: «إنني لم أكن أعبث أو أعيش كأنثى، كان المسرح هو زوجي وحبيبي وولدي وكنت عندما أتعرض للخسارة ألجأ لبيع مجوهراتي وعندما كان «إيلي» يكتشف ذلك كان يغضب مني ثم يعوضني عن الخسارة والمجوهرات».

وذات يوم عرض عليها الدرعي أن يعتنق الإسلام ويتزوجها، فرفضت خوفًا من انتقام اليهود منها؛ فقال لها الدرعي: أنا خايف عليكي من تقلبات الزمن ونفسي أعمل لك حاجة تنفعك في المستقبل سوف ابني لك عمارة كبيرة.

فردت فاطمة: لا.. النقود التي ستدفعها في العمارة اصرفها على الفرقة أحسن.

- كفاية الخسارة التي مضت.

- الفرقة أولًا لو كنت تحبني بصحيح.

- خلاص الفرقة.. الفرقة.. كما تريدين.

وقد ذكرت فاطمة في أكثر من مناسبة ومقابلة صحفية أن الرجل الثاني في حياتها يعد عزيز عيد كان مليونيرًا أجنبيًا عاشت معه حياة الملوك وأنه تزوجها ورفضت أن تذكر اسمه.. لقد كان الدرعي على حد قول فاطمة عجوزًا ثريًا، يحاول شراء رضائي بكل الوسائل وكان يعلم أنه لو تركني فلن يجد من ترضى به أما أنا فإن في انتظاري مليونيرات مثله أو أكثر ثروة وأصغر منه سنًا وكان الأمر بالنسبة له مسألة صراع من أجل الوجود، وعاد إيلي إلى تمويل الفرقة فقدمنا «البعث» لتولستوي و«العاصفة» لشكسبير ولم تحققا النجاح الكافي وبدأت الخسائر في التضاعف، وبدأت أشفق على الدرعي من عبء هذه الخسائر فقلت له:

– اسمع يا إيلي سأعوضك هذه الخسارة من خلال القيام برحلة إلى تونس والجزائر ومراكش وهذه البلاد لم تزرها الفرق المصرية من قبل.

فكانت إجابته:

– هذه الرحلة مغامرة كبيرة، لأن معظم أهالي هذه البلاد لا يجيدون اللغة العربية، خاصة الأغنياء الذين يرتادون المسارح ولا يمكن الاعتماد على العامة، لأنهم فقراء ولا يستطيعون دفع ثمن التذكرة.

– على أي حال سنحاول.. نحاول وسأخفض قيمة التذكرة.

– ولكن هذه البلاد تغلي بالثورة ضد الاستعمار والسفر يمثل خطورة في هذا الوقت.

– حسنًا نستغل هذه الثورة وتقدم الروايات الوطنية التي تخدم القضايا الوطنية وحركات التحرر وتلهب حماس الثوار وهذا واجب يجب أن يقوم به الفنان.

– في هذه الحالة سوف تتعرضين لمضايقات السلطات الفرنسية.

– هذا لا يهمني فهذا واجب يجب أن يقوم به كل فنان كما قلت لك.

شعرت فاطمة بالضيق من تردد «إيلي» وكانت تتوقع أن يرحب بذلك خاصة أنه من أصل جزائري، وتذكرت عزيز عيد الذي لو كان يملك كل هذه الأموال لسافر إلى هناك وأقام مسرحًا دائما لمساندة حركات الثوار.. وصاحت غاضبة في وجه الدرعي.

– أنا قررت السفر ولا مجال للمناقشة..

وتعترف فاطمة أنها فوجئت بهذا الرجل الذي يحبها بجنون يدير لها ظهره لينصرف قائلًا:

- لو حدث وسافرت فعلا فإنها سوف تكون النهاية بيننا.. ولن تحصلي مني على مليم واحد بعدها.

وسافرت إلى شمال أفريقيا في تحد واضح «للدرعي» وانتقامًا لكرامتها حسب تعبيرها، لأنها أحست أنه يهددها «بالفلوس» ولم يذكر شيئًا عن حبه لها وربما لو قال لها - بحق حبي لك لا تسافري لرضخت له وعدلت عن فكرة السفر.. لكن تهديده بمنع المال عنها جعلها تشعر وكأنها «سلعة» تُباع وتُشترى.. وهذا ما رفضته تمامًا.. وعن سبب استمرار علاقتها بالدرعي تؤكد أن ذلك بسبب انبهارها بما شاهدته في أوروبا من إمكانيات مسرحية عالية لم يكن من السهل تحقيقها في مصر دون ملايين الدرعي الكثيرة، كما أن المنافسة الساخنة مع فرقة «رمسيس» كانت تجعلها دائما تلجأ إليه للإنفاق على الفرقة بالشكل الذي يجعلها قادرة على الاستمرار في هذه المعركة.. وفي سبيل هذا كانت تحافظ على استمرار العلاقة، فهو بنك متنقل، مستعد للإفلاس من أجل سعادتها، ولهذا فقد رضيت أن تقضي وقتها معه للحفاظ على الفرقة من أجل إرساء دعائم المسرح العربي التي كانت عزيز عيد وهي يحلمان به وبانسحاب إيلي الدرعي وملايينه من مسرح حياتها بدأ مجرى الأحداث يأخذ خطًا جديدًا ويفتح المجال لظهور أبطال من نوع آخر لكنهم يلعبون نفس الدور "عشاق

فاطمة رشدي"!! ولكن حياة «العز» التي عاشتها فاطمة لم تتكرر حتى إنها عانت من الفقر والحرمان بعد أن ابتعدت عنها الأضواء وأصبحت في حاجة إلى تلقي «الحسنة» من أهل الخير حتى المجلس الوطني للفنون والآداب قرر منحها إعانة شهرية قيمتها ١٥٠٠ جنيها مدى حياتها حتى لا تضطر للتسول في الشوارِع بحثًا عن قوت يومها.. لقد رحل العاشق الدرعي بملايينه لتبقى «سارة برنار الشرق» تتحسر بعدها على الملايين التي أنفقتها.. والعمر الذي مضى!



# مع الضابط الأوروبي:
# غرام شديد الغرابة

أعظم لذة.. وأعنف ألم.. هذا هو الحب..

عالم خاص جدًا.. علاقة لا تخضع لأي قواعد.. شيء لا يمكن لأحد أن يتحكم فيه.. إنه مثل دقات قلوبنا نموت لو توقفت لحظة واحدة، ولكننا لا نستطيع أن نتحكم فيها.. إنه الشيء الذي لا يعرف اختلاف الألسنة وتباين اللغات.. شبه الريح لا تمنعها حدود الجغرافيا أو تعدد المواطن.. وفاطمة رشدي التي ظلت تحلم بأن تصل شهرتها إلى شهرة النجمة الفرنسية سارة برنار، والتي قدمت أعمالًا لفيكتور هوجو، تولستوي، وشكسبير، وجورج فيدو فإن حياتها لم تخل من الغرام الأوروبي، وكأنها تريد أن تكون «عالمية» في كل شيء.. حتى في حياتها الخاصة فها هو «أحد الضباط الفرنسيين» في الجزائر يقع في غرامها، ويمثل دور العاشق الأوروبي، ولأن الحب حالة متفردة خارج كل ما يألفه الناس كانت قصة غرام فاطمة مع الضابط الفرنسي شديدة الغرابة، بعيدة عن القواعد المنطقية التي تحكم تصرفات البشر والتي تمثل في جملتها شيئًا لا يمكن أن يتصوره عقل..

تتحدث فاطمة عن ذلك الغرام العجيب: في إحدى زياراتي إلى المغرب العربي قدمت بعض الأعمال في الجزائر وقد لاقت هذه الأعمال نجاحًا كبيرًا لدى الحركات الوطنية هناك، وكان هذا النجاح

يدفعنا إلى تقديم الأعمال التي تؤازر الثورة وتشد من عضد الشعب الجزائري الذي كان يئن تحت وطأة الاستعمار الفرنسي.. ولكن ذلك بالطبع لم يرض رجال المخابرات الفرنسية التي فرضت رقابة صارمة على الأعمال التي نقدمها.. وكان مدير المخابرات الفرنسية شابًا جميلًا، لم يكن يتركني أغيب عن بصره لحظة واحدة وكنت قد تعرفت على أحد الضباط الجزائريين، وكان من عائلة عريقة في كفاحها للاستعمار الفرنسي.. أبدى إعجابه بي في أول لقاء بيننا.. ثم تطور الأمر إلى ثقة كاملة حتى إنه صارحني بأنه من قادة حركة المقاومة الوطنية، وأن مدير المخابرات الفرنسي يراقبه وينتظر أن تسنح الفرصة التي يتصيده فيها.. وكان الضابط الجزائري شديد الكراهية له ويحكي لي عن الجرائم البشعة التي يرتكبها الفرنسيون ضد رجال المقاومة الجزائرية.. وتطورت علاقتي بالضابط الجزائرى بعد تصريحه لي وتوسله أن أبادله حبًا بحب.. ولم أشأ أن أصدمه، بل أظهرت له إعجابي وتقديرى على أن نترك مشاعرنا للأيام تسيرها كيفما شاءت ولكنه ثار في ضعف قائلًا: ليس لي أمل في الغد فأنا مريض وموتي محتوم.

وتقول فاطمة: لم أعرف وقتها ماذا أفعل غير أنني وجدتني أحتضنه ودموعي تنهمر وأقوله إنني أحبك.. لا يمكن لأحد أن يتصور مقدار الفرحة التي ارتسمت على وجهه لسماعه اعترافي بالحب..

وأصبحنا لا نفترق وأخذت أتردد معه على الأماكن التي يجتمع فيها برجال المقاومة.

وكان شديد الحذر حتى إنني أصبحت أشعر أننا بعيدين عن أي مصدر للخطر حتى كان يوم كنت على موعد بهذا الضابط في أحد الأماكن التي اعتدنا الاجتماع فيها مع قيادات الحركات الوطنية، وما كدت أطرق الباب وأدفعه كما تعودت حتى فوجئت بالمكان يخلو من كل من تعودنا على وجودهم، ورأيت ضابط المخابرات الوسيم يبتسم ابتسامة كلها سخرية قائلًا: أسف يا سيدتي صاحبك قد فارق الحياة، فقد أطلقنا عليه الرصاص صباح اليوم بعد أن صدر الحكم بإعدامه من المحكمة العليا.

لم أستطع أن أنطق بكلمة واحدة من هول الصدمة وانسحبت أجر قدميَّ بصعوبة، وأنا لا أشعر بكل ما يدور حولي ولكن بقي في نفسي سؤال وهو: لماذا لم يقبض عليّ رئيس المخابرات الفرنسي مع علمه الكامل بحقيقة صلتي بالضابط الجزائرى وزملائه من قادة الحركة الوطنية؟ شعرت أنني أحب هذا الضابط الذي لقي مصرعه، حبًا لم أكن أدركه في نفسي، ويبدو أننا لا ندرك قيمة الأشياء إلا بعد فقدها.. وقررت مغادرة الجزائر بسرعة.. ولكن ما حدث بعد ذلك كان مفاجأة

أخرى.. فبينما أصعد مع بقية أفراد الفرقة إلى الباخرة متجهين إلى المغرب.. شاهدت الضابط الفرنسي «رئيس المخابرات» يقترب مني ويأخذني من يدى ويقول لي بصوت هامس حنون:

– سيدتي لا تندهشي لما أقول.. أنا أحبك.

– تحبني.. إنني لم أكره إنسانًا في حياتي مثل كراهيتي لك.

– صدقيني إن حب شيء واحد لا يؤلف بين قلبين وإنما يؤلف بينهما بغضه.. فأنت تبغضين عملي الذي يمليه عليّ واجبي نحو بلادي، لأنه يتعارض مع واجبك نحو بلادك وأنا أيضًا أبغض هذا العمل الذي يجعلني لا أنام من عذاب الضمير الذي أشعر به من جراء إخلاصي لبلادي.

– هل تعرفين لماذا لم أقبض عليك رغم علمي بصلتك بالضابط الجزائري وزملائه الثوار؟

– لقد سألت نفسي هذا السؤال ولم أتمكن من الوصول إلى إجابة.

– الإجابة ببساطة.. إنني أحببتك منذ اللحظة الأولى التي وقعت عيني فيها عليك.

– لست أفهم أي حب الذي تتحدث عنه وكيف يكون؟

– يكون بمعجزة.. إنه يشبه الجنين الذي يبدأ صغيرًا جدًا في بداية تكوينه.

– أمثالك من أصحاب القلوب الغليظة كيف يتحدثون بهذه الرقة؟

– معذرة فكنت طالبًا في الطب والتحقت بالجيش.

– لا يهم الأمر كثيرًا، فأنا راحلة الآن ولا فائدة من حبك المزعوم هذا.

– صدقيني لم أشأ أن أحرجك وأنت تقيمين هنا فقررت أن أنتظر لحظة رحيلك لأصارحك بهذا الحب.. ومن يدرى ربما نلتقي ثانية.

– هل تنتظر مني أن أصدقك.. ولا أشك في كل ما تقول وأنا أعرف طبيعة عملك؟

– سيدتي أنا مؤمن تمامًا بأن أقصر طريق للكرامة هو أن يكون ما يقوله الإنسان تعبيرًا صادقًا عما يدور في داخله.. وأنا أحاول أن أعيش محتفظًا بكرامتي، ولست مضطرًا للكذب.

– لكن هل نسيت الضابط الجزائري؟ إنني كنت أحبه؟

- لست أنا الذي قتله أو تسبب في قتله، لقد قبضوا عليه وهو في طريقه إلى مكان الاجتماع وأخذت أنا مهمة تفتيش المكان وضبط من فيه لأنني كنت أعلم أنك ذاهبة إلى هناك؟

- حسنًا.

ومضيت أصعد سلم الباخرة وهو يقول لي: "إلى اللقاء وأرجو منك أن تلزمي الصمت بما جرى بيننا".

وأبحرت الباخرة صوب المغرب لترسو في الرباط وكانت «جوزفين بيكر» الراقصة الفرنسية الفاتنة تنزل في نفس الفندق الذي اخترته أثناء إقامتي، وكنت قد قابلتها في باريس حدث بيننا التعارف فلقيتني معانقة وسألتها: ماذا تفعلين هنا؟

- جئت للترفيه عن قوات الجيش الفرنسي الموجودة هنا.

وتقول فاطمة: شعرت وقتها بأنني يجب أن أقدم الأعمال التي تدفع الجماهير إلى مقاومة الاحتلال.. لأن «جوزفين» ترى أن الترفيه عن رجال الجيش الفرنسي واجب وطني.. ولذلك فمقاومة الاحتلال هو واجبي نحو وطني.. وقد حدث ذلك وأدت أعمالي الغرض الذي أنتويه، وكان من الطبيعي أن تستدعيني السلطات الاستعمارية.. وبعد

ساعات من الاستجواب والتهديد قررت الاستمرار في تقديم هذه الأعمال.. وعندما يأسوا من نزولي على رغباتهم وتقديم أعمال كوميدية «هايفة» قرروا ترحيلي إلى جبل طارق.. ولم يتركوا لي أي فرصة للاعتراض، وشحنوني إلى جبل طارق حيث سلموني للمخابرات الإنجليزية التي أجرت معي تحقيقًا روتينيًا ثم أطلقوا سراحي.. وقررت السفر إلى باريس بالطريق البري المار بإسبانيا، وبمجرد وصولي باريس وأثناء بحثي عن فندق متواضع أنزل به لحين تدبير أموري. أفاجأ بشاب جميل يتقدم نحوي.. لقد كان نفس الضابط «رئيس المخابرات» الذي صارحني بحبه أثناء مغادرتي للجزائر.

هتفت من المفاجأة:

– مستحيل.. أنت؟

– نعم.. ألم أقل لك إننا قد نلتقي مرة أخرى.

واقتادني إلى سيارة فاخرة كانت تقف قريبًا منا ومضت بنا في شوارع باريس حكيت له ما جرى لي وإذا به يعلم بكل التفاصيل التي مرت بي وكأنه يترقب وصولي وسألني:

– لماذا لم تسافري من جبل طارق إلى القاهرة؟

– لست أدري.. إنه تصرف لم تكن لي أدنى إرادة فيه..

– إنه من حسن طالعي..

– لو سمحت وصلني إلى أقرب فندق فأنا مرهقة جدًا.

– لقد أعددت لك كل شيء فأنت في ضيافتي طوال فترة إقامتك في باريس

وذهب بى إلى شقة صغيرة في «الشانزلزيه» أعدها خصيصًا لإقامتي وتركني لأستريح على وعد باللقاء في الصباح.

وفي الصباح عاد إليَّ وأخبرني أنه قرر الفرار بي من باريس إلى إسبانيا وذلك في إجازة طويلة.

وتقول فاطمة قضيت مع الشاب الفرنسي – ضابط المخابرات – سنة من أجمل سنوات عمري، وقد اكتشفت أنه مليونير، وبعد شهرين من إقامتنا في مدريد قال لي:

– فاطمة أريد أن أقدم لك هدية تذكرينني بها؟

– لقد غمرتني بهداياك.. صدقني أنا سعيدة ولا أريد أي شيء.

– لا.. هذه هدية من النوع الذي تعشقينه ولن تستطيعي الرفض.

– ما هي؟

– فيلم سينمائى عربي تقومين فيه بدور البطولة.

ولم أصدق نفسي من الفرحة حتى إنني شعرت أنني في حلم جميل حتى دارت الكاميرا بعد أيام قليلة لتصور فيلم «الزواج» الذي تولى بطولته أمامي الممثل «علي رشدي» وقد تم تصوير الفيلم بين باريس والقاهرة.

وكان هو قد قرر ألا يتخلى عني طوال حياته وكان يرفض فكرة سفري حتى لأيام قليلة.. لكن حدث ما لم يكن في الحسبان فاندلعت الحرب العالمية الثانية واستدعي إلى ميدان القتال، فعدنا إلى باريس ومنها إلى مارسليا وكانت أغلب الخطوط الملاحية قد توقفت وبذل مجهودًا كبيرًا حتى استطاع أن يجد لي مكانًا على ظهر باخرة بضاعة أعود فيها إلى الإسكندرية.

ولن أنسى لحظات الوداع بيننا؛ فقد تحجرت دموعه واحتبس صوته وضمني إلى صدره كثيرًا.. ورفض أن يقول كلمة وداع واحدة.. لقد كان يأمل في أن نلتقي ثانية كما التقينا بعد فراقنا في الجزائر..

**ولكن قدّر لنا ألا نلتقي أبدًا.. فقد قتل في الميدان بعد شهور قليلة من قيام الحرب وسقط في سبيل واجبه كما سقط الضابط الجزائري في سبيل الواجب.. ترى ما هذا الشيء الذي نعشقه لدرجة أن نفقد بسببه أغلى الأشياء في الوجود؟!**

**لقد رحل هذا الرجل الذي أخلص في عمله الذي يبغضه وأخلص في حبه للمرأة التي كان حبيبها الجزائرى أحد ضحاياه.. ولا عجب إنه الحب.**

## بين السينما والمسرح..

## خمسة أزواج بحثًا عن الرجل المناسب



رغم أن فاطمة رشدي تألقت في السينما كما تألقت في المسرح، واعتبر فيلم «العزيمة» التي قامت ببطولته من أهم ١٠٠ فيلم على مستوى العالم ولم يحصل فيلم عربي بعد ذلك على مكانة كهذه.. إلا أن المسرح بالنسبة لها هو الحب الأول والأخير التي أخلصت له في البداية كما في النهاية، ولذا نجد أنها مثلت في أدوار البطولة في أكثر من مائتي مسرحية على مدى حياتها كلها، بينما اقتصرت الأفلام التي لعبت أدوار البطولة فيها على ١٦ فيلمًا وكانت السينما بالنسبة لها محطة مرور عابرة تعود إليها بين وقت وآخر.. تتخللها فترات انقطاع تطول أو تقصر.. وتُعد فاطمة رشدي واحدة من أربع سيدات رائدات في مجال السينما: عزيزة أمير، بهيجة حافظ، أمينة محمد، لم تلعب السينما في حياتها إلا جانبًا ضئيلًا جدًا بجانب الدور الذي لعبته في المسرح، فلولا فيلم «العزيمة» الذي قامت فيه بدور البطولة عام ١٩٣٩ ما كان لها دور يذكر.

وقد بدأت السينما في مصر عام ١٩٢٧، وبدأت فاطمة رحلتها مع السينما بالفيلم الصامت «فاجعة فوق الهرم» الذي أخرجه بدر لاما ووداد عرفي عام ١٩٢٨ ويُعد هذا الفيلم هو الثالث في تاريخ السينما المصرية، فقد سبقه فيلما «ليلى» و«قبلة في الصحراء».. وقد اتجهت الممثلة الكبيرة للسينما بعد أن حققت شهرة واسعة في المسرح، ولأنه

استهوى الناس كاختراع عجيب، فقد تسابق كثير من أصحاب رؤوس الأموال، لاستثمار أموالهم فيه، مما أثر سلبًا على الفرق المسرحية الشهيرة الصيت وقتها، لأنها لم تكن تعمل غالبًا إلا شهور الشتاء، فإذا جاء الصيف راح كل ممثل أو مؤلف أو مخرج يبحث عن مصدر يرتزق منه.. إلا أن السينما تظل على هامش حياة الممثلة الكبيرة، فكانت تعود إليها بين فترة وأخرى.. ثم تنقطع عنها وتعوَّد إليها مرة أخرى.

وفيلم «فاجعة فوق الهرم» فيلم صامت من أفلام المغامرات من إنتاج شركة «كندور فيلم» وإخراج إبراهيم لاما وبطولة بدر لاما ووداد عرفي والمعروف أن فيلمها الثاني الذي قدمته هو فيلم «الزواج» الذي عرض في ١٩ يناير ١٩٣٣ لكنها تقول: «إنه الفيلم الثالث، فقد كان الثانى بعنوان «تحت ضوء الشمس" من إنتاجي وإخراج وداد عرفي الذي قام فيه أمامي بدور البطولة، وهو فيلم لم ير النور، لعدم رضائي عنه فنيًا.. لقد عرض عليّ الفيلم في عرض خاص لم يعجبني فحملته وذهبت إلى صحراء مصر الجديدة، وأحرقته وأنا راضية، ولم أعبأ بالأموال التي أنفقتها على هذا الفيلم.

وجاء فيلمها «الزواج» وهو يحمل رقم ١٩ في قائمة الأفلام المصرية، فهو من إنتاج وتأليف وإخراج وتمثيل فاطمة رشدي.. صورت

مناظره في باريس وإسبانيا ومصر.. قام بدور البطولة أمامها محمود المليجي وعلي رشدي.

وإذا أغفلنا فيلم «تحت ضوء الشمس» من قائمة أفلامها، لأنه لم يعرض على الجمهور فإن الفيلم الثالث يكون فيلم «الهارب» الذي عرض في أول أكتوبر ١٩٣٦ وهو فيلم من إخراج إبراهيم لاما قامت ببطولته أمام بدر لاما والراقصة امتثال فوزي وعبد السلام النابلسي وكان دورها فيه دور فتاة فلسطينية بينما قام بدر لاما بدور فلسطيني فدائي مناهض للسلطات البريطانية في فلسطين.

والفيلم الرابع «ثمن السعادة» الذي عرض في يوم ٥ مارس ١٩٣٩ وهو ميلودراما عاطفية من تصوير وإخراج ألفيزي أورفانيللي، قامت ببطولته أمام حسين صدقي.

ويأتي بعد ذلك الفيلم الخامس «العزيمة» الذي يحمل رقم «١» مع مخرجه وكاتب قصته السينمائية كمال سليم.

ولم تعمل مع كمال سليم مرة أخرى إلا في الفيلم السادس «إلى الأبد» الذي عرض في يوم ٣ مارس ١٩٤٠ عن قصة مقتبسة بقلم سليمان نجيب قامت فيه بالبطولة مع راقية إبراهيم وسليمان نجيب

وزكي رستم وعباس فارس، وظهر فيه عزيز عيد للمرة الأولى والأخيرة على الشاشة في دور عربجي حنطور.

وكان هناك فيلم آخر كان سيقوم بإخراجه لها كمال سليم، وهو الفيلم السابع «العامل» الذي أخرجه بدلا منه أحمد كمال مرسي عن قصة وسيناريو وحوار حسين صدقي ومحمد عبد الجواد.. وقامت ببطولته مع حسين صدقي وزكى طليمات وثريا حلمي.

والتقت بعد ذلك في فيلمين مع يوسف وهبي.. الأول وهو الفيلم الثامن «الطريق المستقيم» ١٩٤٤ من إخراج توجو مزراحي وتمثيل يوسف وهبي وأمينة رزق وسلوى علام ومنسَّى فهمي وبشارة واكيم وعبد المجيد شكري وفردوس محمد.

والثاني هو الفيلم التاسع «بنات الريف» الذي قام يوسف وهبي بتمثيله وإخراجه عن إحدى مسرحياته المعروفة بهذا الاسم.

## منتجة سينمائية

وقد تزوَّجت فاطمة بعد طلاقها من كمال سليم من تلميذه محمد عبد الجواد، الذي أخرج لها ثلاثة أفلام.. وهي الفيلم العاشر

«غرام الشيوخ» المأخوذ عن مسرحية «الأستاذ كلينوف» قامت ببطولته أمام منسَّى فهمي ويحيى شاهين.

والفيلم الحادي عشر «مدينة الغجر» الذي قامت ببطولته مع أنور وجدي ومحمود المليجي وزوزو ماضي وعبد العزيز خليل.

والفيلم الثاني عشر «الريف الحزين» مع يحيى شاهين ودولت أبيض ومحمود المليجي وعبدالعزيز أحمد.

وقد شاركت في إنتاج الفليمين الأخيرين.. والفيلم رقم «١٣» وهو بعنوان «الطائشة» من إخراج إبراهيم عمارة قامت ببطولته مع يحيى شاهين، وحسين رياض ومارى منيب..

وكان الفيلم الرابع عشر بعنوان «عواصف» من إنتاج عام ١٩٤٨ قام بإخراجه عبد الفتاح حسن، واشتركت في تمثيله مع يحيى شاهين، وزكي رستم وعباس فارس وزينب صدقي وزوزو نبيل.

والفيلم رقم «١٥» هو فيلم «الجسد» إخراج حسين الإمام وهو أول فيلم قدم فيه هند رستم في دور البطولة، وجاء بفاطمة رشدي كممثلة قديرة لتقف في هذا الفيلم بجانب الممثلة الناشئة في ذلك الوقت..

وكان الفيلم السادس عشر والأخير فيلم «دعوني أعيش» عام ١٩٥٦ من إنتاج وتمثيل ماجدة، وإخراج أحمد ضياء الدين بالاشتراك مع كمال الشناوي ومحسن سرحان وصلاح ذو الفقار..

ومن بين هذه الأفلام الستة عشر كان هناك أربعة أفلام من إنتاجها، فيلمان أنتجتهما وحدها، وأحرقت أحدهما وهو «تحت ضوء الشمس» والثاني هو "الزواج" وفيلمان شاركت في إنتاجهما وهما «الريف الحزين» و«تحت ضوء القمر».

إذا كانت فاطمة رشدي قد قدمت عددًا قليلًا من الأفلام «١٦» فيلمًا سينمائيًا في ٢٨ سنة، بينما بلغ رصيدها في المسرح نحو «٢٠٠» مسرحية، وذلك لأنها أخلصت للمسرح، فكان عشقها الأول، ولم تنقطع عنه منذ أن التحقت بفرقة رمسيس.. بعد أن تكونت إثر سفر عزيز عيد إلى إيطاليا ليقنع يوسف وهبي بالعودة إلى القاهرة، حيث كان يدرس هناك.. وعاد عزيز ويوسف وهبي ليكوّنا الفرقة بعد أن ورث وهبي عن أبيه عبد الله وهبي باشا ثروة جيدة.. وكانت فاطمة وقتها تغني في كازينو البوسفور.. ولم تكن تعرف أى شيء عن ذلك العالم السحري «المسرح» إلا بعد أن حدثها عنه عزيز وعرض عليها

أن تنضم للفرقة؛ فكانت هذه أول خطوة حقيقية لها للإبحار في عالم النجومية.

وقد افتتحت فرقة رمسيس أولى مسرحيات موسمها الأول على مسرح «ريتش» بشارع عماد الدين مكان مسرح الريحاني حاليًا– بمسرحية «المجنون» في مساء يوم ١٠ مارس عام ١٩٢٣ وكان عزيز عيد هو مدير الفرقة الفني، وكانت فاطمة قد كبرت قليلًا، وأصبحت في الخامسة عشرة من عمرها، فألحقها بالفرقة وكانت تقوم بأدوار البطولة النسائية في الفرقة وقتئذ روزاليوسف، فأسند إلى فاطمة أدوار الصبيان التي كانت تتفق مع عمرها في ذلك الوقت كأدوار «توني» في مسرحية «الذهب» لتشارلز ديكينز «وابن المهرج» في مسرحية «المهرج» و«ولي العهد» في مسرحية «لويس الحادى عشر».

كانت فاطمة موهوبة بفطرتها، فهي لم تكن تعرف القراءة أو الكتابة. فوجدت في عزيز عيد معلمًا وأبًا وأستاذًا وزوجًا فقد تعهَّدها بالتدريب والتهذيب والتعليم، وساعدها على تقويم لغتها في الإلقاء.. وكان ينتهز وجود فرق مسرحية عالمية في القاهرة، ليصطحبها معه لمشاهدة هذه الفرق.. وكان عزيز دائمًا يحدثها عن الممثلة الفرنسية العظيمة سارة برنارد، وعن أدوارها الخالدة، فتأثرت بها أشد التأثر في

التمثيل، حتى اشتهرت فيما بعد بلقب «سارة برنار الشرق» التي قدمت بعض أدوارها الخالدة والتي تألقت بطلة في رواية «توسكا»، و«النسر الصغير»، و«غادة الكاميليا»، و«الحقد»، و«اللهب» و«الجبار» فحققت نجاحًا وشهرة واسعة.

ولما اعتزلت روزاليوسف المسرح في عام ١٩٢٥لتصدر مجلتها التي صدرت منذ ذلك التاريخ باسمها، جاءتها الفرصة لتتقاسم تمثيل أدوارها في فرقة «رمسيس» مع زميلاتها في ذلك الوقت: زينب صدقي، وأمينة رزق، وعزيزة أمير.. وبعد ذلك انفصلت فاطمة وعزيز عن فرقة «رمسيس» وكونا فرقتهما الخاصة التي عرفت باسم «فرقة فاطمة رشدي المسرحية» عام ١٩٢٦ وافتتحت موسمها الأول بمسرحيتي «الحب» تأليف سارة برنار وترجمة حبيب جاماتي و«روكامبول» ترجمة أحمد جلال.. ثم واصلت الفرقة تقديم مواسمها في القاهرة والأقاليم.. واشتهرت برحلاتها إلى الدول العربية عامًا بعد عام وبعد أن عثرت على ممول مليونير اسمه «إيلي الدرعي».. وترددت بعد ذلك الشائعات حول وجود علاقة بينه وبين صاحبة الفرقة جعلت عزيز ينفصل عنها بالطلاق.. بعد أن رزق منها بابنتهما «عزيزة» الفنانة التشكيلية التي أقامت في لندن.

وكانـت المنافسـة علـى أشـدها بـين فرقتـي «فاطمـة رشـدي» و«رمسيس» حيث تقدم الفرقتان مسرحية واحدة في وقت واحد مثل «يوليوس قيصر» و«الوطن» و«هاملت» و«المائدة الخضراء» وامتدت هذه المنافسة إلى درجة أنها كانت تمثل أدوار الرجال التي يقوم بها يوسف وهبي كدوري «هاملت» و«أنطونيو» كما مثلت دور «مجنون ليلى» أمام زينب صدقي في دور «ليلى» ودور شاب مراهق في مسرحية اسمها «توتو» ودور الفتى المغامر «روكامبول»..

والملاحظ أن الفرقة كانت تقدم المترجمات من روائع المسرح العالمي مثل «غادة الكاميليا» و«أنَّا كارنينا» و«البعث» و«سالومي» و«جان دارك» و«سلامبو» و«الوطن» و«مانون ليسكو» والتاريخيات مثل «أحمس الأول» و«كليوباترا» و«نابليون» و«السلطان عبد الحميد» و«محمد الفاتح» و«إبراهيم باشا» و«العباسة» والميلودراميات مثل «عواصف» و«الفاجعة» و«المستهترة» و«الفودفيليات» مثل «خلي بالك من آميلي» و«فوت» و«أما ليلة» و«حانة مكسيم» و«لوكاندة الأنس».

وقد كتب أمير الشعراء أحمد شوقي لفرقتها مسرحيتيه الشعريتين «مصرع كليوباترا» و«مجنون ليلى» ومثلت له مسرحيتين آخريين هما

«علي بك الكبير» و«أميرة الأندلس» وقدم لها أمير الزجل بيرم التونسى مسرحيتين أيضا وهما «ليلة من ألف ليلة» و«عقيلة».

ولم يقف طموح فاطمة عند حد فقد اتجهت إلى الإخراج المسرحي وأخرجت مسرحيتي «أنَّا كارنينا» و«البعث» لتولستوي، تحت إشراف عزيز عيد طبعًا. وعندما بدأ نجم فاطمة رشدي في الأفول فإنها كانت تحن إلى المسرح أرادت أن تمثل دور كليوباترا في المسرح الحديث ولكن زكى طليمات رفض.. وحاولت إقامة حفلة مسرحية في إحدى مدن محافظات مصر «دمنهور» ولكن المحاولة فشلت لأن أعضاء الفرقة خريجات معهد الفنون المسرحية لم يحضرن وقالت فاطمة رشدي إن زكى طليمات منعهن لمحاربتها.



# الغروب الأخير

شائعات كثيرة.. وأقاويل كثيرة.. وحقائق وأسرار كثيرة غلفت حياة الفنانة الكبيرة..أبرز هذه الأقاويل تدور حول أزواجها وعلاقاتها بالرجال.. فقد كان الزوج الأول عبقري المسرح الراحل عزيز عيد الذي أعجب بها، وتبناها فنيًا وأشرف على تدريبها وصقلها من الوجهة الفنية، ثم تزوجها بعد أن أشهر إسلامه، وأنجب منها ابنتها عزيزة الفنانة الرسامة التي تقيم حتى الآن في لندن.

وكان الزوج الثاني المخرج السينمائي الراحل كمال سليم الذي عملت معه في فيلم «العزيمة» عام ١٩٣٦وبهرتها عبقريته الفنية، فتزوجته، وبعد وفاة كمال سليم تزوجت فاطمة من المخرج محمد عبد الجواد والذي كان يعمل مساعدًا للمخرج كمال سليم.. وتزوجت عبد الجواد بعد أن أصبح مخرجًا، وعملت معه في فيلم «مدينة الغجر».. أما الزوج الرابع فلقد كان أحد أبناء صعيد مصر المقيمين في القاهرة.. ولم يدم أكثر من أربعة أشهر.. وتزوجت «فاطمة» للمرة الخامسة من شاب ليس من الوسط الفني – قيل إنه يعمل ضابط بوليس – وعاشت معه بضعة أسابيع في مقر عمله بالقناطر الخيرية تقول عن هذه الزيجة: «كنت في القناطر أروِّح عن نفسي بعض الشيء.. هناك التقينا، وراح

يحدثني أحاديث جميلة عن الزواج والسعادة الزوجية، التي يكتنفها الوفاء والحب والإخلاص، وعن رغبته في الزواج مني، وشعرت بأنني في حاجة إلى رجل أستظل بظله، ويقاسمني متاعبي التي أعيش فيها أو على الأصح أقاسمه أنا بعض سعادته، فقبلت وتزوجته، ولكن هذا الزواج وآسفاه لم يعمر سوى ثلاثة أيام فقط، فقد عرفت في اليوم الثالث بأنه متزوج وله سبعة أولاد، فانفصلت عنه إبقاءً على أولاده الذين هم أحوج إليه مني.

وقد أشيع بعد طلاقها من زوجها الخامس أنها تزوجت من المونولوجست الأسمر المرحوم محمد كامل، ولكنه سرعان ما كذب الخبر على صفحات الجرائد وقتها.

وأشيع أيضًا أنها تزوجت من أحد الشبان هواة التمثيل والذي لم يتجاوز عمره الثامنة والعشرين عامًا، وتعرفت عليه الفنانة الكبيرة عندما قدمت حفلتين تمثيلتين، وقدمت فيهما تجربة فنية تتمثل في اعتمادها على اسمها وحدها ومسرحياتها القديمة المشهورة.. مكونة الفرقة من شباب هواة لم يسبق لأغلبهم الظهور على خشبة المسرح.. وتردد أن هذا الشاب فاز بقلب الفنانة الكبيرة، إلا أنه لم يتزوجها وانتقدت الصحف الفنية فاطمة رشدي وقتها فقالت إحدى الصحف «وهكذا

نجد فنانتنا الكبيرة مشغولة بزيجاتها عن مزاولة عملها كممثلة يمكن أن يكون لها جمهورها المعجبون بفنها!!».

وتعلق على كثرة أزواجها وتعدد علاقاتها وإشاعات الزواج فتقول: «لم أجد الرجل الذي يشاطرني أحزاني ويقاسمني سعادتي.. لأن الرجال وآسفاه يحبون اسمي.. ولا يحبون شخصي.. يحبون فاطمة الممثلة، ولكنهم لا يحبون فاطمة المرأة، حتى وأنا في قمة مجدي.. كم تمنيت أن يحبني رجل لا يعرف اسمي، ولكن عبثًا حاولت أن أجد هذا الرجل.. هذه ضريبة المجد.. ولكنها ضريبة فادحة كل حصيلتها الشقاء والدموع واللوعة».

إلا أن نقطة ضعف الفنانة الكبيرة ومأساة حياتها كانت ابنتها عزيزة التي أنجبتها من المخرج عزيز عيد.. وعزيزة هجرت أمها وتركت مصر وعاشت في إنجلترا وتزوجت من ثري.. إضافة إلى أنها كانت تعمل بالإذاعة البريطانية.. وكم تمنت فاطمة أن تذهب وتعيش مع عزيزة في بريطانيا.. لكن العلاقات بينهما كان يكتنفها الكثير من الغموض والأسئلة التي بلا إجابات.. لكن.. لماذا لم يستمر تألق فاطمة على مسرح الحياة العامة والساحة الفنية مسرحيًا وسينمائيًا؟!

جاءت الإجابة في كتاب للكاتب الصحفي الكبير مصطفى أمين في كتابه «أسماء لا تموت» وقد خصص أحد فصوله عن فاطمة

رشدي التي قال عنها إنها كانت نجمة وعمرها سبعة عشر عامًا، وقد قدم لحديثه عنها بكلمة يقول فيها: كانت كبيرة ممثلات مصر.. وسارة برنار الشرق وعمرها ١٧ سنة.. كانت تركب عربتها الحنطور في شارع عماد الدين، الذي كان شارع المسارح ودور السينما في القاهرة، فإذا بالطلبة يهجمون على العربة، ويفكون منها الحصانين، ويجرون العربة وهم يهتفون بحياتها، حتى يوصلوها إلى باب مسرحها.. وعندما سافرت أول مرة إلى بيروت، احتشدت الجماهير على طول الطريق إلى الفندق الذي تقيم فيه وهم يهتفون: فاطمة رشدي.. فاطمة رشدي وكانت تستقبل في بغداد ودمشق وتونس والمغرب استقبال الفاتحين.. لم تصل ممثلة في الشرق إلى المجد الذي وصلت إليه، كانت صورها على جدران كل شارع في الشرق الأوسط.. ولم تستمتع فنانة مثلها بالأموال الضخمة التي ألقيت تحت قدميها، ولا بالمجوهرات الثمينة التي انهالت عليها، وأنفقت كل هذا على الفن والمسرح، وجاء يوم لم تستطع أن تسدد فيه إيجار بيتها، وباتت ليالي لا تذوق طعامًا، لأنها عاجزة عن دفن ثمن العشاء.

لقد رحل كمال سليم، وتحطمت الفنانة الكبيرة بعد هذا الرحيل.. هوت من القمة إلى القاع.. رفضت أن تقبل أى دور لا يليق بكبرى ممثلات الشرق.. أبت أن تعمل مع أي مخرج، لأنهم كلهم

أقل شأنا من أستاذها عزيز عيد.. كلهم – في رأيها – لا يفهمون في الفن.. كلهم تجار يبيعون ويشترون في الفن.

ويتساءل مصطفي أمين: ما سر أفول فاطمة رشدي وهي في الأربعين، في حين أعطت فنانات آخريات حتى آخر العمر؟

ويجيب بقوله: قال لى عزيز عيد مرة إن سر انطفاء فاطمة رشدي غرورها.. أنها أصبحت تريد أن تخرج المسرحيات بدلًا منه، وأنه أصبحت تهوى تمثيل أدوار الرجال بعد أن نبغت في أدوار النساء.. باختصار: أنها تريد أن تكون كل شيء.

في العام ١٩٥٥ أجرت جريدة «الأخبار» القاهرية مقابلة صحفية مع الفنانة الكبيرة وكان قد أخذ نجمها في الأفول وانصرف المخرجون والمنتجون عنها ونقتطف جزءًا من الحديث لأهميته:

- لماذا لا تشتغلين الآن بالسينما؟

لا يطلبني أحد فهل أتطفل عليهم.. تصور ست سنوات لم أظهر في فيلم واحد.. مع أن الأفلام التي مثلتها مازالت حتى الآن من خيرة الأفلام المصرية: العزيمة، والطريق المستقيم، ومدينة الغجر، والطائشة، وعواصف، وإلى الأبد.

– وما السر في ذلك؟

اسألهم.

– يقولون عنك أقوالا كثيرة منها أن وزنك قد ثقل بحيث أنك أصبحت لا تصلحين للسينما.

كلام فارغ.. ومع ذلك هات أفلام وأنا مستعدة أصوم حتى أرضيهم.

– ويقولون إن السن تقدمت بك بعض الشيء؟

هذه دعابة سخيفة من دعاياتهم وهل أنا أكبر من فلانة... التي ماتزال تمثل دور ست البنات أو فلانة وفلانة.. ومع ذلك لماذا لا يقولون هذا في أمريكا على بيتي ديفز وكولديت كولبير.. وكوان كورافورد وغيرهم.. وكلهن مازلن يتألقن على الشاشة حتى اليوم.

– ويقولون بأنك - مناكفة - تصرين على آراء معينة؟ لا أقصد ذلك.. وإنما أقصد أن أغلب الأفلام التي مثلت فيها لم تتم فصولها إلا في القضاء وأن بعضها مازال منظورًا إلى الآن؟

كذب.. كذب لم أذهب إلى القضاء إلا مع عمر جميعي وإبراهيم وردة.. عمر جميعي تعاقد معي على فيلم «الأم» وأعطاني

ألف جنيها عربونًا بعد أن قرأت السيناريو ووافقت عليه، والذي حدث أنني عند دخول الأستوديو وجدت الرواية غير الرواية، والدور غير الدور فتركت لهم الأستوديو، وانصرفت، لأنني لا أستطيع أن أمثل دورًا لا يتفق ومواهبي.

هذه قضية عمر جميعي.. أما إبراهيم وردة فقد اشتركت معه في إنتاج فيلم «الطائشة» ودفعت له سبعة آلاف جنيه وعندما عرض ولاقى نجاحًا كبيرًا أراد أن يخرجني من الشركة ويعطيني فلوسي، فلم أقبل طبعًا والتجأت إلى القضاء.. ومن يومها إلى وقتنا هذا أربع سنوات والقضية لم يبت فيها حتى فلوسي لم أخذ منها مليمًا واحدًا.

- وما السبب في ذلك؟

لأن إبراهيم وردة غني وعنده محامين كبار.. أما أنا ففقيرة، ولكنى أخيرًا وكلت عني الأستاذ فتحى رضوان.. هذه هي القضايا التي يقولون عنها.. والتي من أجلها يقولون بأننى مجنونة، تصور كيف يحاربونني ويختلقون عليّ الأكاذيب.

– ولماذا لا تعودين للمسرح.. وهو مازال في حاجة إليك؟

وما إن قلت هذا حتى ثارت ثورة عنيفة وقالت محتدة: لم يقبلوا أن أشتغل معهم.. لم يقبل يوسف وهبي أن أشتغل معه.. حتى زكي

طليمات أبى أن ألتحق بفرقة المسرح الحديث.. تصور، بلغني أن فرقة المسرح الحديث ستمثل كليوباترا، وشعرت بحنين إلى المسرح، وإلى تمثيل هذا الدور بالذات، فوسطت الأستاذ إبراهيم المصري – وهو يسكن معي هنا في عزبة النخل – لدى زكي طليمات لكي أمثل كليوباترا فلم يقبل حضرته.

– وما حجته في ذلك؟

يقول بأني مدرسة قديمة، وفرقته مدرسة حديثة.. كأن الفن فيه قديم وحديث أوله عمر ينتهي بانتهائه، وإذا سلمنا بهذا ألم يكن زكي طليمات نفسه مدرسة قديمة، فكيف يقول هذا القول.. وهو المؤلف والمخرج بل هو صاحب فرقة المسرح الحديث.. ليس أبدًا هذه هي الحقيقة، وإنما الحقيقة أن زكي لا يريد أن يظهر ضعفه وضعف فرقته، وسيظهر طبعًا هذا الضعف إذا كنت أنا بينهم.. تصور كيف يحاربني زكي طليمات.. من شهرين أقمت حفلة تمثيلية في دمنهور، وأشركت معي ثلاث فتيات من خريجات المعهد، فما كان من زكي إلا أنه يوم الحفلة بالذات منع الفتيات من السفر معي، لا لشيء إلا ليحاربني فقط.

- وما سبب ذلك؟

اسأله.. لقد مات المسرح المصري من يوم أن أنفقت عليه الحكومة.. لقد أصبح مصلحة حكومية لا هم لمن يعمل بها سوى التوقيع عند الحضور والانصراف، لقد جنى يوسف وهبي على المسرح بالمهازل التي مازال يمثلها من العشرينيات مثل بنات الريف وبنات الذوات وآخر العنقود ومهازل القاهرة أو خفايا القاهرة كما يسمونها.

وقالت في الحوار أيضا إنها تنوي ترك مصر.. وتتمنى أن تذهب إلى إنجلترا لتعيش مع ابنتها هناك واختتمت الحديث بقول حافظ إبراهيم الذي يقول:

هجرت القريض فلا تعجبي وعفت البيان فلا تغضبي
فما أنت يا مصر دار الأديب ولا أنت بالبلد الطيب

وقد كُرِّمت الفنانة الكبيرة في أكثر من مناسبة، فكرمتها الدولة في مصر حيث ألحقتها بوظيفة مشرفة فنية في هيئة المسرح بمرتب قدره أربعون جنيهًا.. أيضا كرَّمها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بمنحها وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى.. كذلك أطلق اسمها على مسرح «النيل العائم».. كذلك تقرر منحها معاشًا استثنائيًا قدره مائة جنيها شهريًا.

وفي عيد الفن في أكتوبر ١٩٧٦ سلَّمها الرئيس الراحل أنور السادات جائزة الجدارة، المهداة إليها من أكاديمية الفنون وقيمتها ١٠٠٠ جنيه سنويًا.

وأصدرت خلالها رحلتها ثلاث كتب عن حياتها، الأول «كفاحي في المسرح والسينما» حيث سجلت ذكرياتها الفنية.. والكتاب الثاني كان «أنا والرجال» يتضمن ذكرياتها الخاصة، أما الثالث فكان «حياتي بين الحب والفن».

عندما شاهد الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي أحد عروضها المسرحية كتب بعد العرض القصيدة التالية:

| | |
|---|---|
| ما شاهدت عيني ممثلة | كفاطمة الشهيرة |
| أبدت جلال الفن حتى | في مواقفه الخطيرة |
| جاءت تداعب دجلة | إبان ثورته الأخيرة |
| جمعت إلى الفن الجميل | جمال طلعتها المنيرة |
| وجه صبوح ذو رواء | مثل زنبقة نضيرة |
| الصورة الحسناء رامزة | إلى حسن السريرة |
| لله أنت وللبراعة | من ممثلة خطيرة |

وقد زارت فرقتها العديد من الدول الأوروبية كإنجلترا وفرنسا وقبرص وكان أبلغ تقدير لها أن مجلة «لايف» الأمريكية خصصت أربع صفحات عام ١٩٦٤ للحديث عنها، كأعظم ممثلة في الشرق.. ووصل تقديرها خارج مصر إلى درجة رفيعة، فعندما زارت جامعة باكستان رفعت الجامعة العلم الباكستاني احترامًا وتحية لها.

من أبرز ما قيل عنها:

قال عنها الكاتب الصحفي الكبير فكري أباظة عام ١٩٤٣ «ممثلة ضخمة وهبها الله جمالًا وقوامًا وفصاحة طبيعية، إنها بحق ممثلة المسرح الأولى».

وقال عنها الشاعر إبراهيم ناجي عام ١٩٤٥ «إنها صاحبة أجمل وجه بين ممثلاتنا، لها عصامية الرجال وليس لها ضعف النساء».

وقال عنها عملاق الأدب العربي الأستاذ عباس العقاد عام ١٩٤٣ «إنها أقدر ممثلة في مصر».

أما المخرج الكبير.. زوجها وأستاذها عزيز عيد قال في حقها «إنها أحق الممثلات بلقب كبيرة ممثلات مصر».

إن آخر مسرحية قد شاركت فيها الممثلة الكبيرة كانت بين عامى ٥٩–١٩٦٠ وقتها كان المسرح الحُر يستعد لتقديم مسرحية «بين القصرين».

وفي آخريات أيامها تبنى الفنان فريد شوقي والناقد الفني مجدي العمروسي ومجموعة من الفنانين جمع أموال لشراء شقة تسكن فيها تليق بما قدمته.. وتقديرًا لدورها الرائد.. وفي لمسة وفاء كان الكاتب الكبير الراحل مصطفى أمين قد قرر منحها راتبًا شهريًا مدى الحياة، كما منحتها معاشًا استثنائيًا نقابة المهن التمثيلية لكن لم تستمتع بأي من هذه المزايا.

وفي اليوم الأخير في حياة فاطمة رشدي كانت قد انتقلت للإقامة في بيت «الفنان المصري» بشارع معروف وسط القاهرة من ثلاث أيام فقط.. وكانت الجملة التي ترددها خلال هذه الأيام «عشت في قصور وبعدين عشت في الحضيض وربنا حقق لي أمنيتي بحصولي على هذه الشقة في ختام حياتي».

وفي هدوء تام وبعد أن أنهت صلاة الفجر طلبت من خادمها الخاص مساعدتها على الخروج إلى شرفة منزلها لتلقي نظرة على القاهرة، وهي تستقبل فجر يوم جديد.. ورغم برودة الطقس إلا أن

الفنانة الكبيرة أصرت على البقاء عدة دقائق في شرفة منزلها، ثم طلبت العودة إلى سريرها، حيث فاضت روحها وهي تردد: الحمد لله عشت أحلى أيام عمري وأشعر الآن أنني أريد أن أستريح راحة طويلة.. ثم أغمضت عينيها لتسدل الستار الأخير على مشوار عمرها الذي بنت خلاله مجدها بشقائها ودموعها ودمها وابتسامتها.. وكان الرحيل فجرًا في ٢٣ يناير ١٩٩٦وعقب وفاتها تكفَّل عدد من الفنانين بجميع الإجراءات اللازمة، لتشييع جثمانها إلى مقره الأخير، حيث تم دفنها في مقابر الصدقة! ولكن للأسف فإن الذين ساروا في جنازتها كانوا عددًا قليلًا جدًا لا يتناسب مع الفنانة التي أسرت قلوب الملايين.

ويأتي صوتها من مذكراتها التي كتبتها «الفنان كحامل الراية في ميدان الجهاد يتلقى الراية من سلفه ليحملها فترة من الزمن يسلمها بعدها لخلفه».

# أفلام فاطمة رشدي

**- فاجعة فوق الهرم ١٩٢٨ «فيلم صامت» بطولة بدر لاما، وداد عرفي إخراج إبراهيم لاما.**

**- تحت ضوء الشمس «لم يعرض» بطولة وإخراج وداد عرفي.**

**- الزواج ١٩٣٣ بطولة محمود المليجي وعلي رشدي إخراج فاطمة رشدي.**

**- الهارب ١٩٣٦ بطولة بدر لاما وعبد السلام النابلسي إخراج بدر لاما.**

**- ثمن السعادة ١٩٣٩ بطولة حسين صدقي إخراج ألفيزي أورفانيللي.**

**- العزيمة ١٩٣٩ بطولة حسين صدقي، أنور وجدي، مارى منيب، إخراج كمال سليم**

**- إلى الأبد ١٩٤١ بطولة سليمان نجيب، زكي رستم، راقية إبراهيم، إخراج كمال سليم.**

**- العامل ١٩٤١ بطولة حسين صدقي، زكي طليمات، إخراج أحمد كامل مرسي.**

**- الطريق المستقيم ١٩٤٤ بطولة يوسف وهبي، أمينة رزق، وبشارة واكيم، إخراج توجو مزراحي.**

**- بنات الريف ١٩٤٥ بطولة يوسف وهبي إخراج يوسف وهبي.**

**– غرام الشيوخ ١٩٤٥ بطولة يحيى شاهين، منسى فهمي إخراج محمد عبد الجواد.**

**– مدينة العجر ١٩٤٦ بطولة أنور وجدي، ومحمود المليجي، ودولت أبيض، إخراج محمد عبد الجواد.**

**– الريف الحزين ١٩٤٧بطولة يحيى شاهين، ومحمود المليجي، إخراج محمد عبد الجواد.**

**– الطائشة ١٩٤٧ بطولة يحيى شاهين، ماري منيب، حسين رياض، إخراج إبراهيم عمارة.**

**– عواصف ١٩٤٨ بطولة يحيى شاهين، زكي رستم، زوزو ماضي، إخراج عبد الفتاح حسن.**

**– الجسد ١٩٥٥ بطولة هند رستم، إخراج حسن الإمام.**

**– دعوني أعيش ١٩٥٦ بطولة محسن سرحان، كمال الشناوي، صلاح ذو الفقار، ماجدة، إخراج أحمد ضياء الدين.**

## أبرز مسرحيات فاطمة رشدي

- **المجنون ١٩٢٣**
- **المهرج**
- **النسر الصغير**
- **غادة الكاميليا**
- **اللهب**
- **الحب**
- **يوليوس قيصر**
- **هاملت**
- **البعث**
- **أنا كارنينا**
- **سلامبو**
- **آحمس الأول**
- **نابليون**

- محمد الفاتح
- العباسة
- الفاجعة
- الفودفيليات
- أميرة الأندلس
- مجنون ليلى
- عقيلة
- الذهب
- لويس الحادي عشر
- توسكا
- الحقد
- الجبار
- روكامبول
- الوطن

- توتو
- سالومي
- جان دارك
- مانون ليسكو
- كليوباترا
- السلطان عبد الحميد
- إبراهيم باشا
- عواصف
- المستهترة
- علي بك الكبير
- مصرع كليوباترا
- ليلة من ألف ليلة.

# الفهرس